

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٦١ صفر ١٤٣٨هـ

إبادة سنة حلب والموصل لصالح سنة بوتين والمالكي

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦١)
صفر- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

إبادة سنة حلب والموصل لصالح سنة بوتين والمالكي!

منذ عدة سنوات والمشروع الشيعي الطائفي يشن حرب إبادة تجاه أهل السنة في العراق وسوريا ولحقت بهما أخيراً اليمن، ولما عجزت إيران عن إنهاء هذه الحرب لصالحها بالكامل وبقيت المقاومة السنية صامدة، بل وتُحقق بعض الانتصارات، وأيضاً لما تبخر حلم إيران باستباحة اليمن بسهولة وغفلة من العالم بشن عاصفة الحزم ومن ثم إعادة الأمل من قبل التحالف العربي الإسلامي بقيادة السعودية، لم يجد الإيرانيون إلا اللجوء للدب الروسي ليشاركها جريمة إبادة أهل السنة، وذلك بسبب تاريخه العريق في إبادة أهل السنة في الشيشان وأفغانستان ومن قبل في سائر الجمهوريات الإسلامية الروسية منذ عصر الشيوعية وقبلها القيصرية.

وهذه الإبادة لأهل السنة تمثلت في استخدام كل أنواع القنابل من الكيميائية والفراغية والارتجاجية والفسفورية فضلا عن البراميل المتفجرة، التي حولت مدنهم لكومة من الخراب، ومن لم تقتله القنابل فإن الحصار والتجويع كفيلان بذلك، إذ يعاني الملايين من أهل السنة من التجويع المتعمد بمنع وصول المساعدات والمؤن حتى في الهدنات التي ترعاها الأمم المتحدة، والتي تبين أن أقرباء الأسد هم أصحاب الشركات والموظفون في برامج الأمم المتحدة الإغاثية!

ومن نجا من السنة من القصف والجوع، فإن الإبادة تنتظره إذا حاول الخروج وعبور الممرات الآمنة، فآلاف الرجال والشباب مفقودون بعد عبورهم هذه الممرات الآمنة!

وقد سبق لهذا المشروع أن مكّن داعش من السطو والاستيلاء على مناطق أهل السنة حيث قتل خيرة رموزها وقادتها وجرد مقاومتها وثوارها من سلاحهم، وهجّر مئات الآلاف منهم، وجعل مناطقهم هدفا للقصف والعدوان!

وفي مقابل هذه الإبادة الوحشية لأهل السنة على مسمع ومرأى العالم، يقوم بوتين والمالكي ومن قبلهم إيران بمحاولة صناعة كيان ومفهوم جديد لأهل السنة، تكون ميزته الفريدة أنه متطابق تماماً مع الطائفية الوحشية والهمجية الدموية لأعداء المسلمين.

فإيران ومنذ الربيع العربي غيرت استراتيجيتها من عقد مؤتمرات الوحدة الإسلامية إلى عقد مؤتمرات الصحوة الإسلامية، للتحايل على انخفاض شعبيتها بين الجماهير المسلمة في العالم، وحاولت أن تنصب نفسها زعيمة للصحوة الإسلامية ومؤسسةً لها!

وقد تابعها على هذا المسار الرئيس الروسي المجرم بوتين حيث قام الرئيس الشيشاني رمضان قاديروف والملقب بالفتي المدلل لبوتين بالدعوة لمؤتمر «أهل السنة»، وقد كان حضور المؤتمر بين موال لروسيا وإجرامها علانية وبين مخدوع بالشعار الجميل ولا يدرك أبعاد المؤتمر.

ولما تكشفت حقيقة المؤتمر وأنه بهدف حصر مفهوم أهل السنة في بعض الفرق والجماعات دون عموم المسلمين، اضطر شيخ الأزهر للتراجع ومحاولة التنصل من مقررات المؤتمر، وحاول علي الجفري –وهو عراب المؤتمر- التلطيف من نتائجه وتصوير الأمر على

غير حقيقته.

وبرغم أن أهل السنة يبادون على يد روسيا فإن المؤتمر جاء ليبرئ ساحة روسيا من هذه الجريمة من خلال نزع صفة السنية عمّن تقتلهم روسيا في سوريا، كما نزعت وصف السنية عمّن يقتلهم قاديريوف في الشيشان!

فحتى يمضي المشروع البوتيني لعودة روسيا قوية في العالم يجب أن يكون الدم السني هو الوقود لهذه العودة، ولذلك وبكل وقاحة أعلن بوتين أنهم يجربون الأسلحة الروسية في سوريا، وعلى منواله أعلنت الصين كذلك أنها ستجرب ترسانتها الجديدة في سوريا، وكأن أرواح أهل السنة في سوريا لا قيمة لها أو هي ماء ملون!

وعلى نفس المنوال عقد في بغداد مؤخرا الاجتماع التاسع لمؤتمرات الصحوة الإسلامية الإيرانية، والتي بزعم الأمين العام للمجمع العالمي للصحوة الإسلامية علي أكبر ولايتي يشارك به علماء مسلمون من ٢٢ دولة.

ومن تأمل الحضور وجدهم شيعة أو سنة متشيعة! مع بعض الديكور السني من أمثال سليم الجبوري، رئيس البرلمان العراقي.

إن العداء لأهل السنة اليوم هو محل اتفاق عالمي ودولي من أطراف متباينة ومتصارعة إلا علينا، وذلك لأن أهل السنة اليوم يشكلون العائق أمام الكثير من المخططات العدوانية التي تستهدف خيرات الشعوب وثرواتها والسيطرة على موارد القوة والطاقة من جهة.

وبسبب أنهم الكتلة العددية الأكبر في العالم قريباً، حيث يتزايد عدد المسلمين سنويا بسبب نسبة الإنجاب المرتفعة وبسبب كثرة نسبة الشباب فيهم وبسبب كثرة الداخلين في الإسلام من أديان أخرى، مما يشكل خطورة على خصوم الإسلام مستقبلاً.

كما أن أهل السنة بسبب عقيدتهم النقية يرفضون كثيرا من المفاهيم المنحرفة والباطلة والأخلاق والسلوكيات الضارة، والتي تتعارض مع مصالح ضخمة للوبيات سيئة وقوية في العالم، فالمسلمون يرفضون ثقافة الإلحاد وما يتصل بها من إباحية في الفن والموضة واللبس وهذا سوق ضخم جداً في العالم، والمسلمون يحاربون الخمر والمسكرات والمخدرات والتدخين وهذا يتعارض مع مصالح أباطرة العالم، والمسلمون يرفضون الظلم والاحتلال والاستغلال والخداع الذي يهيمن به أقليات دينية أو اقتصادية أو سياسية على الأغلبية بشكل مباشر أو غير مباشر.

لكل هذا فإن اجتماع الشرق والغرب واليهود والشيعة على إبادة السنة هو حقيقة لا تقبل النقاش، وتتنوع وسائلهم في ذلك، فالإبادة الوحشية التي يمارسها الشيعة والروس، يقابلها غزو بلاد الإسلام بالفن الهابط الذي يثير الغرائز والشهوات ويحرف بوصلة الشباب والشابات عن حقيقة القدوات من النبي ﷺ وأصحابه والعلماء للفنانين والفنانات المشبوهين، أو بالفن الذي ينشر الوثنية وعبادة الأصنام ويحرف مفاهيم الإسلام.

ومؤخراً تم تفعيل سلاح مناهج التعليم، والتي يتم مسخها لصالح أجندات علمانية متطرفة في عدد من البلاد العربية تستهدف حصر الدين في مادة التربية الإسلامية، ومن ثم يتم تقليص مادة الدين وتحريفها مع ملء المناهج بأفكار ومفاهيم وسلوكيات علمانية ووثنية وشركية باسم الانفتاح والتعايش وتقبل الآخر، مع أنهم ينفون الإسلام الذي يشكل هوية مجتمعاتنا.

ومن جهة أخرى يتم تشويه صورة أهل السنة برميهم بالإرهاب جميعاً فتغلق مؤسساتهم ويطارد رموزهم، بينما الميليشيات الشيعية الطائفية تمارس الإرهاب والإجرام صباح مساء وعلنا على الفضائيات ولا يتم الاكتراث، فضحايا الميليشيات الشيعية هم أهل السنة وهؤلاء دماؤهم رخيصة.

ومن آخر جرائم الميليشيات الشيعية الحوثية في اليمن استهداف مكة المكرمة بصاروخ باليستي، في جريمة إرهابية من الطراز الأول فهي تستهدف قبلة المسلمين الكعبة، والتي تضم في جنباتها الأبرياء والمسالمين من كل أنحاء العالم.

لكن لأن الشرك الشيعي والطائفية الشيعية لا يمكنهما التعايش مع التوحيد والسنة النبوية جاء هذا الاستهداف.

ولكن كل محاولات إبادة السنة واستبدالهم لا يمكن لها أن تنجح مهما كثرت التضحيات والجراح بأهل السنة، والله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
١٢- علي جمعة

إعداد: فادي قراقرة– كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

(لأن أكون ذنباً في الحق أحب من أن أكون رأساً في الباطل) رحم الله من قالها لتسطر من بعده أنموذجاً يقتدي به العقلاء، ولتبقى ريحاً طيبة لا تزول بموته بل تستمر ما بقي لوح وقلم؛ نعم قالها عبيد الله بن الحسن العنبري، قاضي البصرة المحدث الثقة!!.

ما لنا ولهم!! فهؤلاء قوم لم تشغلهم الدنيا عما يرضي ربهم، فرفع الله ذكرهم، أما زماننا فلشهوة الرياسة قبول مرعب، تفترس فيه أصحاب النفوس الضعيفة ولو كانت عمتّها كبيرة!

ترجمة مختصرة

ولد علي جمعة محمد عبد الوهاب في محافظة بني سويف في ٣ مارس ١٩٥٣ الموافق ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١هـ، قرأ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد إسماعيل الهمداني شيخ مقرأة الأزهر وقد أتم قراءته عام ١٩٦٩م ثم انتقل إلى القاهرة حيث التحق بالمدرسة الثانوية.

حصل علي جمعة على شهادة البكالوريوس من كلية التجارة في جامعة عين شمس سنة ١٩٧٣، ثم قام كغيره بالانتساب إلى الأزهر في سن متأخرة حيث التحق بكلية الدراسات الإسلامية والعربية وتخرج منها سنة ١٩٧٩م.

حصل على شهادة الماجستير سنة ١٩٨٥ من كلية الشريعة والقانون، وكانت رسالته بعنوان (دراسة وتحقيق مباحث الخاص والخصوص والتخصُّص والظاهر والمؤول عن أبحاث الكتاب الكريم من كتاب البحر المحيط للإمام الزركشي)، كما حصل على شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٨٨ والتي كانت دراسة وتحقيق (بيان المختصر للأصبهاني).

شغل علي جمعة العديد من الوظائف الدينية والعلمية خلال مشواره المهني حيث كان عضواً في لجنة الفتوى بالأزهر الشريف خلال الفترة (١٩٩٥- ١٩٩٧)، وعضواً في مؤتمر الفقه الإسلامي بالهند، ومستشار وزير الأوقاف خلال الفترة (١٩٩٨ – ٢٠٠٣)، والمستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ومدير مكتب القاهرة خلال الفترة (١٩٩٢ – ٢٠٠٣)، وعضو الرقابة الشرعية لبنك التنمية الزراعي خلال الفترة (١٩٩٧- ٢٠٠٣)، وعضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف خلال الفترة (١٩٩٥- ١٩٩٧).

تولى الإشراف على جامع الأزهر الشريف منذ سنة ١٩٩٩- ٢٠١٣م، وعضو في مجمع الفقه

الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، وعضو في مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر. وتولى مسؤولية إفتاء الديار المصرية منذ عام ٢٠٠٣م، وحتى ٢٠١٣.

منهجية علي جمعة

التساهل والبحث عن الجواز غالبا هما المنهجية المعتمدة عند علي جمعة، وقد نصّ هو على ذلك في كتابه (الفتاوى العصرية) صفحة (١٠٥) بقوله: (وعندما نرى العلماء يختلفون في شيء، فإننا نقلد من أجاز، وهذه قاعدة مقررة في الفقه الإسلامي عبر التاريخ)، بهذه البساطة يحل جمعة خلاف العلماء! دون النظر إلى هل العلماء الذين أباحوا معهم آية قرآنية أو حديث صحيح عن النبي ﷺ!!؟

أكاذيب وتخاريف علي جمعة

يقرر علي جمعة - بناء على منهجيته في التساهل عموماً - مسائل لم يقلها ولم يقررها أحد من أهل العلم قبله، فضلا عن الكذب الصراح في دعاواه، فمثلا:

❖ نسب علي جمعة كذبا وزورا إلى الإمام الدارمي - والذي لم يتورع علي جمعة عن وصفه بالمجرم- بأنه يشبّه الله عز وجل بالحجارة، وادّعى جمعة أنه قرأ هذا النص أثناء مطالعته لكتاب الدارمي، وهذا الكلام كذب لا أصل له، بل إن الدارمي هو من شنّع على من قال بهذا القول!!

❖ زعم جمعة الإجماع على جواز الصلاة في المساجد التي فيها القبور ونسب هذا القول لكل العلماء؛ وهذا من الكذب الذي له قرون.

❖ زعم كذبا أن عبد الحليم حافظ غنى (أبو عيون جريئة) في مدح النبي محمد ﷺ حيث قال: (عبد الحليم حافظ كان مؤمنا وكان يحب النبي جدا وأغنية أبو عيون جريئة عملها ليمدح النبي عليه الصلاة والسلام، بس بكلمات أخرى).

❖ قال علي جمعة في كتابه (فتاوى البيت المسلم) صفحة (٦٣): (يعبر عنه الأصوليون بقولهم (الترك ليس بحجة) أي أن ترك النبي ﷺ لأمر لا يدل على عدم جواز فعله، وهو أمر متفق عليه بين علماء المسلمين سلفاً وخلفاً)، وزعم الاتفاق من الكذب الذي له قرون.

❖ بتر علي جمعة آية ليجيز ذكر الله بلفظ: الله الله الله، وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]، رغم أن هذا السياق ورد جواباً على سؤال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام:٩١]، ثم جاء الجواب: ﴿ قُلِ اللّهُ .... ﴾ [الأنعام:٩١] [١].

❖ زعم علي جمعة أن ملكة بريطانيا من آل البيت[٢].

❖ يدعي علي جمعة أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة[٣].

تناقضات علي جمعة

كتب الباحث المصري مسعود إبراهيم صبري رسالته المعنونة بـ (المستجدات الفقهية لدار الإفتاء المصرية) والتي حاول من خلالها رصد الفتاوى المتناقضة والشاذة التي اختلف حولها علماء دار الإفتاء وعن أثر السياسة والاتجاه السياسي في تطويع الفتاوى لتتناسب طردياً مع المنصب والمال السياسي!!!

فضلا عن البحث في مدى توافر شروط الإفتاء والاجتهاد فيمن تولى منصب مفتي الديار المصرية مع توضيح درجة المفتي بالنسبة للمفتين والمجتهدين، مما يعطي انطباعاً واضحاً عن مدى تأثير القرارات السياسية على عقول من يدعي العلم!!

وهكذا علي جمعة؛ فبين كلام الأمس وفتوى اليوم، كرسي زائل لا يغر المؤمن الذي يقرأ قوله

---

(١) كتاب (البيان لما يشغل الأذهان) لعلي جمعة (٢٥١).
(٢) https://www.youtube.com/watch?v=FlAIjqo8UII
(٣) https://www.youtube.com/watch?v=XLDDWZcXOSk

تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ (القصص: ٨٣).

فمن نصرة لختان الإناث ودفاع عن النقاب وغيرها من المسائل قبل منصب المفتي، إلى أن يصبح الختان ليس من الشريعة ويصبح النقاب ليس من الدين مع إشراقة فجر كرسي مفتي مصر!!!!

كيف هذا يا سماحة المفتي وأنت الذي أفتيت بأن الختان للإناث سنة ومكرمة على قناة دريم قبل أن تتولى منصب الإفتاء حيث قلت: (الختان للإناث سنة ومكرمة ومستحب)[1]، وبعد جلوسك على الكرسي قلت في كتاب (وقال الإمام) (ص ٣١٥): (هذا الحديث .. يبين أن الختان للرجال سنة وللنساء مكرمة؛ وكلمة مكرمة معناها: أنها ليست من الشريعة)، قبل الكرسي كان سنة، وبعد الكرسي ليس من الشريعة!!!

قبل الكرسي قلت على قناة اقرأ: (قضية النقاب يرى فرضيتها وأن النقاب فرض .. الإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة والإمام أحمد بن حنبل... فالذي يدعي أن النقاب ليس من الشريعة البتة وأنه عادة: هذا محض خرافة، النقاب موجود من أيام الصحابيات ومنذ أيام الصحابة والنقاب موجود عبر التاريخ وفي الشعر الجاهلي .. فمحض خرافة أنها من عادات الأتراك فهذا الكلام ليس كلاماً علمياً.. وقال الإمام مالك: إذا كانت المرأة باهرة الجمال يخشى منها الفتنة في مدينة ما فحينئذ تلبس المرأة النقاب.

فقال المذيع: الأخت كانت تسأل هل ستثاب على ارتدائها النقاب بالرغم أن هناك من ينكر عليها أن هذا تشدد وليس من الدين، هل ستثاب على ذلك لأنها تبتغي وجه الله تعالى؟

علي جمعة: إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

المذيع: جزاك الله خيرا)[2].

لكن بعد أن طال جلوسك على كرسي (مفتي الديار المصرية) قلت في كتابك (البيان القويم) صفحة (١١٩): (نرى أن غطاء الوجه إذا كان علامة على التفريق بين الأمة، أو شعاراً للتعبد والتدين، فإنه يخرج من حكم الندب أو الإباحة إلى البدعية، فيكون عندئذ بدعة)!!!

حتى القواعد الأصلية التي تبني عليها الأحكام الشرعية لم تسلم من تحريف الدكتور علي جمعة، فقبل الكرسي قال في كتابه (الإجماع عند الأصوليين) صفحة (٤٢): (نقل عن الإمام أحمد: (من أدّعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس قد اختلفوا)، فهذا ليس اعتراضاً على الإجماع، لا على وقوعه، ولا على حجيته، وإنما هو تنفير من دعوى الإجماع من غير حجة وبرهان).

وبعد الكرسي قال في كتابه (الطريق إلى التراث) في الطبعة الخامسة ٢٠١٠ صفحة (١٣٦): (خدموا إثبات القرآن والسنة أيما خدمة، ولكن من الملاحظ أن تلك الخدمة لم تتم فيما يخص الإجماع، فإنهم لم ينقلوا إلينا الإجماع، مما دعا الإمام أحمد بن حنبل أن يتشكك فيه بالجملة..).

أن يتولى علي جمعة مقاليد منصب الإفتاء ويجلس على كرسي مفتي الديار المصرية هذا شيء طبيعي لكن أن تتغير بعض فتاواه تغيراً تاماً فهذه مصيبة أخلاقية، خصوصاً مع كون الفتاوى المتأخرة تتناسب طردياً مع طلبات السلطة وليس بسبب تجدد اجتهاده فيها!!!

ومن الطرائف التي تذكر في الباب ما ذكره الدكتور علي جمعة في كتابه (فتاوى المرأة المسلمة) صفحة (٤٦- ٤٧): (الصلاة في المساجد التي بها أضرحة الأولياء والصالحين صحيحة ومشروعة، بل إنها قد تصل إلى درجة الاستحباب، وذلك بالكتاب والسنة وفعل الصحابة وإجماع الأمة الفعلي)، رغم أنه كان قد قال في كتابه (البيان لما

---

(١)https://www.youtube.com/watch?v=MdmNKwdJeVg
بعنوان: مفتي مصر علي جمعة والختان قبل وبعد المنصب

(٢)http://ar.islamway.net/lesson/95801

يـشغل الأذهـان) جـزء (١) صـفحة (٤٧): (أمـا إذا كـان القـبر في داخـل المـسجد فـإن الـصلاة باطلـة ومحرمة على مذهب الإمام أحمد)!!

نقـول للمفـتي: إذا كنـت تعلـم أن مـذهب الإمـام أحمـد يبطـل الـصلاة في المـسجد الـذي فيـه قـبر علـى حـد قولـك فكيـف استـسغت لنفـسك نـسبة الإجمـاع للأمـة في مـسألة أنـت قـد نقلـت مـا يـنقض هـذا الإجماع؟؟!!

جهالات علي جمعة

كتـب علـي جمعـة رسـالتيه الجـامعيتين في تحقيـق كتـب في الـتراث الإسـلامي وأخـذ درجـة (الـدكتوراه) الامتيـاز مـع مرتبـة الـشرف الأولى، ممـا يعطـي القـارئ تـصوراً عـن مـدى إتقـان علـي جمعـة لخدمـة التحقيـق العلمـي، ولكـن للأسـف، امـتلأت كتبـه بالمـصائب العلميـة والنقـول غـير المنـضبطة بـل والأخطـاء القاتلـة في باب التحقيق العلمي، وإليكم من باب المثال:

قـام الـدكتور علـي جمعـة مـع الـدكتور الـسراج بتحقيـق كتـاب الفـروق للقـرافي رحمـه الله، والـذي طبـع بـدار الـسلام بالقـاهرة، وممـا وقـع لهمـا مـن أوهـام غريبـة؛ مـا ذكـره القـرافي في كتابـه (١٤٠١/٤) في ترجمـة الحَجـاج بـن يوسـف الثقفـي ومـا وقـع مـن خـروج ابـن الأشـعث عليـه في الواقعـة المـشهورة، فكتَبَـا كلامـاً يـبرأ بعـضُه مـن بعـض، فقـالا: «الحجـاج بـن يوسـف بـن حجـاج أبـو محمـد الثقفـي البغـدادي الحـافظ، مـن تلامـذة أبـي نـوَّاس وأصـحابه، منـشأ الحجـاج بغـداد، وطلـب العلـم. قـال أبـو داود: هـو خـير مـن مئـة مثـل الرمـادي، تـوفي سـنة ٢٥٩هــ»!!!! فـأين هـذا الرجـل وأيـن الحجـاج المـذكور والـتي تـوفي قبـل تمام المئة هجرية!!

كمـا وقـع لهمـا أيـضاً في ترجمـة أميـة بـن أبـي الـصلت الـذي آمـن بلـسانه ولم يـؤمن بقلبـه كمـا هـو معـروف في سـيرته، فـذكر لـه القـرافي عـدة أبيـات في مـدح عبـد الله بـن جـدعان، أحـد سـادات قـريش وأجـواد العـرب، فجـاء المحققـان وكتَبَـا كلامـاً غريبـاً جـداً في ترجمـة هـذا الـشاعر، وقـالا مـا نـصَّه: «هـو أميـة بـن عبـد العزيـز بـن أبـي الـصلت الـداني، العلامـة الفيلـسوف، الطبيـب الـشاعرُ المُجـوِّد، صـاحبُ الكتـب، ولـد سـنة سـتين وأربعمائـة، وتنقَّـل وسـكن الإسـكندرية، ثـم رُدَّ إلى المغـرب، وكـان رأسـاً في النجـوم والوقـت والموسـيقى، مـات بالمهديـة في آخر سنة ٥٢٨هـ»[1]!!!

فـأين أميـة بـن أبـي الـصلت الـذي أدرك الـنبي ﷺ وأيـن هـذا المترجـم لـه الـذي جـاء بعـد قرابـة خمـسمائة سـنة؟!! فهـل هـذه هـي مقـدرة الـدكتور علـي جمعـة علـى ضـبط العلـوم والمعرفـة بـأدوات التحقيـق العلمي؟!!!؟

موقف علي جمعة من الشيعة والتشيع

فمـن القـول بالـدفاع عـن الـشيعة الإماميـة إلى القـول بجـواز التعبـد علـى مـذهبهم إلى الطعـون بـبعض أصـحاب رسـول الله، تطـورات عديـدة يمـر بهـا المفـتي علـي جمعـة ليحـاول مـن خلالهـا رسـم طريقـه علـى الفواصـل بـين الـسنة والـشيعة ليهـون مـن شـأنها، بـل ويزيـل الفـوارق بينهـا، نعـم هـذا هـو؛ في مقابـل حربـه التـضخيمية علـى مـن هـم أولى بالاحتـضان مـن الـشيعة ولكن المنصب الدنيوي والهوى المتبع يعمي ويصم!!!

فمـسألة تحريـف القـرآن الـتي يـؤمن بهـا الـشيعة، هـي محـض قـول بـالقراءات الـشاذة فقـط عنـد سماحـة المفـتي جمعـة، قـال في كتابـه (سمـات العـصر) ص ١٦٧- ١٦٨: (المـسائل الـتي تتعلـق بالرؤيـا الأساسـية بـين الـسنة والـشيعة قـد تنحـصر في خمـس مـسائل: القـول بتحريـف القـرآن، ولقـد اعتـذرت الـشيعة عمـا ورد ممـا يـوهم هـذا المعنـى القبـيح بـأن هـذا اللفـظ باسـتعمال القـراءات الـشاذة الـتي يـذكرها أهـل الـسنة في كتـبهم غـير المعتـبرة وغـير المعتمـدة .... وأن الـشيعة والـسنة علـى سـواء يقولـون بحفـظ كتـاب الله الـذي بين أيدينا..).

ومـسألة الطعـن في الـصحابة عنـد الـشيعة، المقـصود منهـا عنـده أن الـصحابة غـير معـصومين وأن انتقـادهم مـسموح كمـا صـرح بـه في درس لـه

---

(١) انظر مقدمة عمر القيّام على تحقيقه لكتاب الفروق للقرافي.

مسجل[1]، ومثله ما قاله في كتابه (سمات العصر) وتحت نفس الفقرة السابقة: (القول بتكفير الصحابة، ولم نر لأحد من الأئمة المعصومين عند الشيعة كلاماً مخالفاً في الصحابة الكرام ورأينا أن علماء الشيعة وقادتهم في القرن العشرين ذكروا في كتبهم الترضية على أبي بكر وعمر، وخفت الغلواء)!

ومسألة البداء عند الشيعة الرافضة في أن الله يعلم الكليات لا الجزئيات أصبحت عند سماحته تحت ما يسمى بالنسخ في الأحكام الشرعية[2].

ومسألة التقية عند الشيعة أصبحت عند سماحته حكاية مذهب الخصم عند الخوف[3].

ومسألة العصمة للأئمة صارت عنه أن ما يرويه الأئمة عن رسول الله بالسند[4].

كل هذا أصبح عند سماحة المفتي تفككه التأويلات السمجة والتي خرج في نهايتها متحدثاً عن المخالفات الخمس للشيعة بقوله: (فهذا كان موقفهم من الخمس مسائل بعضها زي ما إنتوا شايفين قد يكون لهم وجه فيه بعضهم قد يكون تجاوزها الزمان، وبعضهم يتكلمون معنا وليس عندهم حجة راسخة)[5].

وعند هذا فقط وبعد تذويب كل الفروق - سواء التي ذكرها أو التي أغفلها- يصبح الخلاف بين السنة والشيعة لا شيء! وعندها فقط ينجح الخطاب العاطفي ليربط على أفواه الناس عامة بحجة الخطر الذي تواجهه الأمة!! كما في كتابه (الدين والحياة) ص١٨٣: (متى ظهرت الشيعة؟ الشيعة موجودة منذ أيام الصحابة .. نشأت الشيعة إلى يومنا هذا .. وعلينا أن نسعى لتوحيد الأمة تجاه الخطر المحيط بنا).

وكانت خاتمة المصائب في هذه القضية فتواه بجواز التعبد بالمذهب الشيعي الإثنا عشري معللاً جوابه بقوله: (إنه يجوز التعبد بالمذاهب الشيعية ولا حرج، وقد أفتى بهذا شيخ الأزهر الراحل محمود شلتوت، فالأمة الإسلامية جسد واحد لا فرق فيه بين سني وشيعي، طالما أن الجميع يصلي صلاة واحدة ويتجه لقبلة واحدة)[6].

وبين هذا وذاك طعون في أصحاب رسول الله ﷺ ؛ كقوله في كتابه (الطريق إلى التراث الإسلامي) ص١٣٨: (معاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وبسر بن أرطأة، وعمرو بن العاص .. فيعود القدح فيهم إلى بعض الجرائم التي ارتكبها كل منهم، فأحدهم زنا، والآخر قتل بعض أهل اليمن، وأحدهم اغتصب الخلافة اغتصاباً). فهل تشيع المفتي أم بدأ مفعول التومان الإيراني؟؟!!!

وهل يدرك المفتي تناقض موقفه هذا في دعواه الانتساب لعقيدة الأشاعرة والتي تحرم الخوض في أصحاب رسول الله والحديث في الفتنة كما نص على هذا علماء الأشاعرة، منهم العلامة ابن رسلان الذي قال: وما جرى بين الصحاب ❖❖❖ نسكت عنه وأجر الاجتهاد نثبت

واللقاني في عقيدته (الجوهرة): وأول التشاجر الذي ورد ❖❖❖ إن خضت فيه واجتنب الحسد

فهل عقيدة جمعة المفتي تغيرت أم أن عقيدته تطورت؟؟!!!

فتاوى شاذة ومضحكة

للمفتي جمعة فتاوى غريبة عجيبة تحتار في الدافع وراءها ولمصلحة من أطلقت، فبعضها تشعر أن أهواء الساسة هي الباعث عليها ومنها فتاوى شابهت فتاوى الشيعة الروافض، وهاكم بعض الأمثلة:

❖ أبو الهول هو نبي الله إدريس[7].

❖ شرب الماء بعد ذكر الله يطفئ حرارة القلب، والأفضل عدم شرب الماء بعد الذكر لمدة

(١) https://www.youtube.com/watch?v=L3e1W9rvhTg
بعنوان: حول الخلاف بين السنة والشيعة أ.د/ علي جمعة
(٢) المقطع السابق الدقيقة ٣٣
(٣) المقطع السابق الدقيقة ٣٤
(٤) المقطع السابق الدقيقة ٣٥
(٥) المقطع السابق الدقيقة ٣٨

(٦)http://www.alarabiya.net/articles/2009/02/04/65714.html
(٧)https://www.youtube.com/watch?v=37xZl3B2vdo

٢٠ دقيقة[١].

❖ أفتى بجواز بيع الخمور في ديار الغرب[٢].

❖ أفتوى بجواز الفوائد البنكية[٣].

❖ أرواح الموتى لديها ما يشبه جوجل إيرث أو الستلايت تكشف به موقع قبر الجسد[٤].

❖ الذي يدرس في الأزهر ينوّر الله قلبه ويغفر الله ذنبه ويهديه الله إلى أقوم طريق[٥].

❖ يمكن للولي أن يقع منه الزنا وهذا لا يصرف عنه الولاية، فإن الله إذا وهب فما سلب[٦]، حيث أن أولياء الله الصالحين عند علي جمعة، قد يزنون مثلهم مثل غيرهم، مستشهداً بتلميذ المرسي أبي العباس، الذي زنى، مضيفاً أنهم قد يدخّنون أيضًا ويشربون الشيشة!!

فأين الخوف من سوء العاقبة، وأين الخوف من الذنوب؟؟!

❖ يفتي الدكتور علي جمعة بأن من تشكك في زوجته فيما دون الزنا عليه أن يتساهل معها حيث قال: (قبل ما تروح بيتك اتصل بمراتك وقول لها إنك جاي لعل معها رجلا، فأعطِه فرصة ليمشي)، وتابع (إذا عاش رجل مع زوجته وهو لا يعلم أنها على علاقة برجل، وتشكك، فقضى على الشك في نفسه، فلا بأس، والنبي ﷺ، كان يأمرنا بذلك، ويقول (من أتى منكم من السفر، فلا يطرقن أهله بليل).

وأضاف (فوّت لمراتك وعديلها، وهذا التفويت من الدين، وإن عرفت أنها زنت يجب عليك أن تطلقها، فمن تاب، تاب الله عليه، وإن لم تعرف أنها زنت، لا تبحث ولا تفتّش وراءها، لدرجة إن الإيتيكيت الإسلامي يقول لك تتصل بها قبل ما توصل البيت.. ده الجمال والحلاوة، لكن فيه ناس مش عايزة الجمال لكن عايزة الحق، طيب خد بقى المقلب يا أخويا، ووقتها هتلاقي راجل معاها وهتضطر إنك تطلقها)[٧]!!!

❖ ينزل حديث الخوارج والأمر بقتلهم وقتالهم في حق المتظاهرين، ويزعم أنه رأى النبي يقرّه على هذا الفعل[٨].

في الختام؛ مَن كان منهجه العلمي تساهل وعدم تحقيق وتحرير، ويكذب في كلامه وتعليمه وفتواه، ويبدل فتاواه بحسب اتجاهات السلطة والمنصب والكرسي، هو أحق بلقب الضلالي بدلاً من المفتي!

(١)https://www.youtube.com/watch?v=7oKhmfEHMEA
بعنوان: علي جمعة ينصح بعدم شرب الماء بعد الذكر
(٢)https://www.youtube.com/watch?v=ni0i-4yGtsI
بعنوان: فيديو علي جمعة يجوّز للمسلمين بيع الخمور
(٣)https://www.youtube.com/watch?v=i7iHxUNlAtY
بعنوان: على جمعة مفتى #مصر السابق : فوائد البنوك ليست ربا بل ربح نتيجة عمليات تجارية
(٤)https://www.youtube.com/watch?v=pXv9ZH8TYHQ
بعنوان: #والله_أعلم | د. علي جمعة: الأرواح تتلاقى وتتحدث في حياة البرزخ
(٥)https://www.youtube.com/watch?v=eJbUCvr2eYI
بعنوان: د على جمعه يتحدث عن السيد عبد الله بن الغماري وعقائد الوهابية الباطلة
(٦)https://www.youtube.com/watch?v=fXAqTbtlJWQ
بعنوان: فضيحة علي جمعة المشايخ والأولياء لهم الحق في ارتكاب الزنا

(٧)https://www.youtube.com/watch?v=Aj9Ho3Lm-_M
(٨)https://www.youtube.com/watch?v=3okdarevAoE

١- ثورات الخوارج
ابن سبأ والخروج على عثمان

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

لم يُبتلَ المسلمون بشخص كما ابتُلوا باليهودي عبد الله بن سبأ، فعلاوةً على أنه واضع بذرة التشيع ومؤسس أول عقائده، كان وراء الفتنة الكبرى التي زعزعت الدولة الإسلامية، وفتحت باب الفتن، وأدّت إلى مقتل خليفة المسلمين، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، في سنة ٣٥هـ.

وعبد الله بن سبأ يهودي من أهل صنعاء باليمن، يُعرف بابن السوداء، نسبةً لأمه الحبشية، تظاهر بالإسلام ليهدمَه من الداخل، حين رآه يعمّ جزيرة العرب، وينتشر في ربوع العالم، وتخفق راياته على مشارق الأرض ومغاربها، «فأراد ابن سبأ هذا مزاحمة هذا الدين بالنفاق والتظاهر بالإسلام، لأنه عَرف، هو وذووه، أنه لا يمكن محاربته وجهًا لوجه، ولا الوقوف في سبيله جيشًا لجيش، ومعركةً بعد معركة، فإن أسلافهم بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع جرّبوا هذا فما رجعوا إلاّ خاسرين، ومنكوبين، فخطط هو ويهود صنعاء خطة أرسل أثرها هو ورفقته إلى المدينة، مدينة النبي ﷺ، وعاصمة الخلافة، في عصرٍ كان يحكم فيه صهرُ رسول الله، وصاحبه، ورضيّه، ذو النورين، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فبدؤوا يبسطون حبائلهم ويمدّون أشواكهم»[1].

الرجعة والوصيّة

بدأ ابن سبأ يجوب البلاد لتنفيذ مخططه بإضلال المسلمين، وأخَذ يخترع كلامًا من عند نفسه يلقيه إلى الناس، منه الزعم بأن النبي ﷺ سيعود إلى الدنيا بعد الموت، فكان يقول في ذلك للرجل: أليْس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: بلى! فيقول له: فرسول الله ﷺ أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى بن مريم عليه السلام[2]!

انتقل ابن سبأ بعد ذلك إلى الخطوة الثانية باختراعه لفكرة الوصية، فكان يقول: إنه كان قبل النبي ﷺ ألفُ نبي، ولكلّ نبيّ وصيّ، ووصيّ النبي ﷺ هو ابن عمّه وزوج ابنته، علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فمحمد، ﷺ، خاتم الأنبياء، وعليٌّ، رضي الله عنه، خاتم الأوصياء.

ويَذكر العلماء أن ابن سبأ اخترع عقيدة الوصيّة هذه متأثرا باليهودية، فقد كان يقول قبل تظاهره بالإسلام إن يوشع بن نون هو وصيّ موسى عليه السلام، فكرّر مقالته هذه في الإسلام، مع تغيير شخوصها.

واتخذ ابن سبأ عليًّا وآل البيت، رضي الله عنهم، ستارا يرمي من خلالهم إلى الطعن في خليفة المسلمين، عثمان بن عفان، فأخذ يقول للناس: إنّ عليًّا أحق بالحكم من عثمان، لأن النبي ﷺ، أوصى له من بعده،

(*) كاتب أردني.

(١) الشيخ إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة، ص ١٩.
(٢) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٤٤٠.

وإن عثمان خالف وصيّة النبي ﷺ، وإنه «معتدٍ في ولايته ما ليس له»[1].

وبذلك اعتُبر ابن سبأ واضع بنيان التشيع، ومؤسس أول أفكاره (الرجعة والوصية)، رغم سعي بعض الشيعة المتأخرين إلى نفي ارتباط ابن سبأ بهم، بل نفيه بالكلّية واعتباره شخصية خرافية[2].

جولات ابن سبأ

أخذ ابن سبأ يجوب الأمصار وهو يدعو إلى باطله، ويحرّض على عثمان، وإذا كانت أفكاره تلك لم تجد صدى ولا قبولا في أوساط أصحاب النبي ﷺ، الذين تربوا على العقيدة الصحيحة وسموّ الأخلاق، فإنها وجدت صدى لدى ضعاف الإيمان والأعراب وذوي الشقاق والنفاق وحديثي السنّ وقليلي التجربة، «فاتّخذ بعضَهم دعاةً فهموا أغراضه ودعوا إليها، وآخرون صدّقوا قولَه فصاروا يدعون إليه عن عماية»[3].

من اليمن اتّجه ابن سبأ نحو الحجاز، حيث المدينة المنورة، في أولى مراحل تنفيذ مخططه، لكنه واجه مجتمعا إسلاميا متماسكا، فاتجه إلى العراق «فهناك مِن القبائل اليمنية، ومِن اليهود، ما يمكّنه من تكوين الصنائع من بينهم، من الموتورين، الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم، وآثروا عصبياتهم القبلية، وأظهروا الإسلام بعد ردّتهم، على كُرهٍ وغصّة ومضض ... في تلك المجتمعات يمكنه ترويج بضاعة المطاعن والمثالب ضد حاكم المسلمين، وتأليب الهمج المغمورين بنشر الأكاذيب والأراجيف عن الحكام وولاة الأمور»[4].

وفي العراق، كانت البصرة محطته الأولى، حيث أسس نواة تنظيمه السرّي هناك، فقد نزل ضيفا عند حكيم بن جبلة العبدي، وهو قاطع طريق متمرد، كان يخرج للجهاد فيُغير على أهل الذمة[5]، وفي البصرة اجتمع إلى ابن سبأ نفرٌ من أهلها، ولقي أذنا صاغية، وكاد الأمر يستفحل فيها، إلى أن تيقظ واليها، عبد الله بن عامر، فأخرج ابن سبأ إلى الكوفة، وكان ذلك سنة ٣٣هـ.

وهناك في الكوفة وجد ابنُ سبأ أيضًا أرضًا خصبة لدعوته، ومِن أسباب ذلك وجود اليهود فيها، والذين أجلاهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، من فدك وتيماء ووادي القرى إلى الكوفة، حيث أقطعهم أرضا قرب الكوفة، تنفيذا لأمر النبي ﷺ «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان»، وهؤلاء اليهود الذين سكنوا الكوفة «كانوا أنشط أعوان ابن سبأ في تنفيذ مخططاته»[6].

وعلى الرغم من أن يقظة والي الكوفة، سعيد بن العاص، وحزمه، شكّلا عائقين أمام ابن سبأ، ما أدّى إلى إخراجه منها، إلاّ أنه تمكن من بذر بذرة أخرى من بذور الفتنة، وترك تأثيرا هناك، فكانت المكاتبات جارية بينه وبين أهل البصرة والكوفة[7].

وإضافةً إلى أنه كوّن تنظيمين سريين في البصرة والكوفة، ونفث فيهما سمومَه، كان لابن سبأ رحلتان نحو بلاد الشام، الأولى منهما كانت في سنة ٣٠هـ، وفيها لقي الصحابيَّ الجليل أبا ذر الغفاري، واستغلّ ما كان يتصف به من الزهد، وأخذ يحرّضه على والي الشام، معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، ويقول له: إن معاوية يسمّي المالَ مال الله، كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين[8].

وفي زيارته تلك إلى الشام، التقى بعدد من الصحابة مثل أبي الدرداء وعبادة بن الصامت، رضي الله عنهما، لكنه لم يحصل على مراده منهما، وبعد تجوّل في ربوع العراق، عاد ابن سبأ إلى الشام مرة أخرى، وكان ذلك في سنة ٣٣هـ، ولم يفلح فيها في بذر بذور الفتنة، لحِكمة واليها معاوية، والتفاف أهلها حوله، وحول

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) منهم على سبيل المثال: مرتضى العسكري، في كتابه «عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى»، وقد ردّ عليه الأستاذ علاء الدين البصير ردًا وافيا في كتابه «ابن سبأ الشبح المخيف (للفكر الجعفري ولمرتضى العسكري)» فليرجع إليه.

(٣) الشيخ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، ص ١٣٠.

(٤) د. حافظ موسى عامر، أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها، ص ٦٩ – ٧٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٧١.

(٦) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٧) المصدر السابق، ص ٨٠.

(٨) المصدر السابق، ص ٩٠.

إمارته، فاختار التوجه نحو مصر، حيث ظهر فيها سنة ٣٤هـ[1].

وفي مصر وجد ابنُ سبأ قبولا لدعوته، حيث كانت تكثر فيها القبائل اليمنية، وكان فيها كارهون لعثمان، رضي الله عنه، بسبب المكاتبات التي كانت تجري بين أتباعه في الأقاليم بأن يكتب كل بلد للبلد الآخر عن مساوئ أميره، ويشيعونها بين الناس.

وبعد عمل منظم استمر لسنوات، حانت ساعة الصفر، وخرجت جموع الغوغاء والمنافقين من مصر والعراق إلى المدينة المنورة، لحصار الخليفة وقتله، واندسوا مع الحجاج، زاعمين أنهم يريدون الحجّ، تمامًا كما فعل الشيعة غير مرّة في وقتنا الحاضر، إذ كانت جموع الحرس الثوري الإيراني تقدُم إلى مكة المكرمة في ثياب الحج، وفي حقائبها المتفجرات لتعيث في الأرض المقدسة الفساد، وتعتدي على الأرواح والممتلكات، كما في موسم الحج لسنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، وكل ذلك يفعلونه تمهيدا لصرف المسلمين عن مقدساتهم في مكة والمدينة، وتحويلهم إلى قبور الشيعة ومزاراتهم في النجف وكربلاء وقُم ومشهد.

وبعد حصارٍ دام ٤٠ يومًا لبيت الخليفة، تمكّن هؤلاء الخوارج من قتله، صابرا محتسبا، رضي الله عنه، وهو يقرأ القرآن، ليكون ذلك الخروج هو أول خروج على خلفاء المسلمين وحكامهم ممّن يزعمون أنهم مسلمون ومصلحون.

كان خروج ابن سبأ وأتباعه على خليفة المسلمين وقتله نتيجة جهد جماعي وتخطيط استمرّ لسنوات -وهو منهج لا يزال قائماً من قِبل أحفاد ابن سبأ من الخوارج والشيعة الذين تخترقهم المخابرات الدولية- ، وتمثّل هذا الجهد في ما يلي:

١- اتّباع مبدأ تشويه الخليفة وولاته، والطعن فيهم «ابدؤوا بالطعن على أمرائكم»، وإظهار أن هؤلاء الخوارج لا يريدون من وراء كل ذلك سوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يزال هذا التهييج على الحكام استراتيجية متبعة من قبل أحفاد ابن سبأ الخوارج والشيعة.

٢- اختلاق الكتب والرسائل، ونسبها لكبار الصحابة وأم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، لإظهار أنهم كانوا كارهين لعثمان ولولاته، وأنهم حرّضوا على قتله، وترويج الأخبار الكاذبة هو أخطر أساليب أحفاد ابن سبأ اليوم.

٣- محاولة الإيقاع بين الصحابة، وإظهار التأييد لأحد أطرافهم، كما في سعي ابن سبأ إيجاد خلاف بين أبي ذر ومعاوية، رضي الله عنهما، حول المال وسبل إنفاقه.

٤- اتخاذ أهل البيت وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، ستارا وذريعة للطعن في عثمان، بزعم أنه اغتصب الحكم منهم، وامتدّ هذا الطعن -فيما بعد- ليشمل الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

أهم المراجع

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- علاء الدين البصير، ابن سبأ الشبح المخيف (للفكر الجعفري ولمرتضى العسكري)، مركز إحياء تراث آل البيت وشبكة البرهان، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).

٣- د. حافظ موسى عامر، أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٤- الشيخ إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة، لاهور (باكستان)، إدارة ترجمان السنة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م).

٥- الشيخ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، الإسماعيلية (مصر)، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

(١) المصدر السابق، ص ٩٧.

الدراما الهندية...
الوثنية تبعث من جديد

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

في هذا العالم الذي يمتلئ بالأديان والأفكار والمذاهب والرؤى، والذي هو في أمسّ الحاجة للتعريف بدعوتنا الإسلامية خاصة مع سهولة ذلك في عصر السماوات المفتوحة إلا أنه للأسف ونتيجة لعديد من الأسباب كانت جهودنا في هذا المجال محدودة بينما عانينا نحن من اختراق نسيجنا من الداخل بواسطة هذه السماوات المفتوحة وأصبحنا مسرحا يتم عليه عرض المذاهب والأفكار والفرق الضالة حتى وصل الأمر للدعوة للوثنية جهارا نهارا من خلال الدراما والسينما الهندية التي احتلت مساحات واسعة من بث الفضائيات العربية، بل إنه يوجد أكثر من ثلاث قنوات متخصصة في بث الأعمال الهندية المدبلجة فقط، وهي من أشهر قنوات الدراما العربية.

وفي هذا السياق أحكي موقفا شخصيا لكنه ذا دلالة واضحة على مدى تغلغل هذه الدراما بالجماهير العربية المسلمة فلم تكن المرة الأولى التي أراجع فيها طبيبا وأجلس في صالة الانتظار لأجد شاشة التلفاز تبث أحد أعمال الدراما الهندية، فسألتُ السكرتيرة: لماذا هذه القناة بالذات؟

فأجابتني بثقة وكأنه أمر مفروغ منه: لأنها ما يريده المراجعون وكلما غيرتها طالبوني بإعادتها، كان هذا الموضوع يلحّ علي كثيرا فسألت الكثير من النساء والفتيات عن الدراما الهندية فكانت الأغلبية العظمى ممن سألتهن يشاهدن هذه النوعية من الدراما ومعجبات بها أيما إعجاب لدرجة أن البعض منهن يرتدين عباءات مصممة بطريقة تشبه الساري الهندي المشهور، كما انتشرت محلات الإكسسوارات النسائية التي تبيع مجوهرات تشبه تلك التي ترتديها بطلات المسلسلات الهندية، الكارثة ليست في هذا الانبهار والتقليد ولكن في المضمون المدمر الذي تبثه تلك الدراما التي لاقت ترحيب الجمهور.

الترويج للوثنية

عبادة الأصنام التي تقرب إلى الله، تلك الفكرة الساذجة الغبية التي ارتكست فيها البشرية دهرا طويلا وكنا نسخر في بلادنا الإسلامية من هؤلاء الأغبياء الذين يعبدون الأصنام حتى وقتنا الراهن، حتى أن بعضهم وهو يستنكر الرأي الفقهي القائل بحرمة التماثيل يستند إلى أن عبادة الأصنام والتماثيل كانت تمثل فترة سحيقة تم تجاوزها، وأن التحريم جاء لقرب العهد بعبادة هذه التماثيل، أما في عصرنا الراهن فقد تم تجاوز هذه الإشكالية.

الدراما الهندية في واحد من أهم أهدافها تدعو صراحة وبشكل مباشر لإعادة الاعتبار لهذه الأصنام، وطريقة الدعوة هي الدراما، فالمشاهد

(*) كاتبة مصرية.

الـــذي يحـــب البطـــل أو البطلـــة الهندوســـية (بعــض الـشباب والـشابات يحـب لدرجـة الهـوس) ويـرى فيهمـا نموذجـا إنـسانيا رفيعـا لا شـك أنـه سـيتعاطف مـع اللحظـات الحميميـة الدافئـة الـتي يتبتـل فيهـا بطلـه لإلهـه الـذي هـو صـنمه! وكـل مسلسل يعـرض لمعبـود أو أكثر.

والمتـابع للـدراما الهنديـة سـيتعرف علـى الكـثير مـن الطقـوس والـصلوات والعبـادات والأعيـاد والآلهـة الهندوسـية، وفي الـسطور القادمـة سـأقدم بعـض النمـاذج التطبيقيـة لعـدد مـن الأعمـال الأكثـر شـهرة، ففـي مسلسل «مـن النظـرة الثانيـة» الـذي قامـت قنـاة إم بـي سـي بوليـود بدبلجتـه، والـذي نـال شـهرة واسـعة جـدا حتـى أن الكـثيرين أطلقـوا علـى أنفسهم «مجنـون كوشـي» أو «مجنونـة أرنـاف» أسمـاء بطلـي المسلسل، تم تقـديم أرنـاف كرجـل ملحـد لا يـؤمن بـأي إلـه، بينمـا كانـت كوشـي تلـك الفتـاة الطيبـة البـسيطة الرقيقـة فتـاة متدينـة جـدا وتعبـد (إلهـة أنثـى، الإلهـة ديفـي) وتحمـل نموذجـا مـصغرا لهـا معهـا في كـل مكـان وتناجيهـا وتحكـي لها وتطلـب مـشورتها وتـدور كـثير مـن الحـوارات بـين كوشـي وأرنـاف حـول الـدين، وهـي حـوارات تحمـل في المحـصلة النهائيـة الـدعوة للوثنيـة مـن خـلال المعبـد الحاضـر بقـوة كمركـز مـؤثر في كـثير مـن العقـد الدراميـة وإقامـة الـصلاة بطريقـة معينـة وكـلام الكهـان والـشجرة الـتي تـربط فيهـا خـيط الأمنيـات فتتحقـق والكـثير مـن الرموز الحاشدة التي يكتظ بها المسلسل.

أمـا مسلـسل «حبـيبي دائمـا» الـذي نـافس مسلـسل النظـرة الثانيـة علـى الاسـتحواذ علـى الجمهـور العربـي والـذي قامـت ببطولتـه نفـس البطلـة الـتي أحبهـا الـشباب والـشابات فلعلـه الأسـوأ علـى الإطـلاق في الـدعوة الـصريحة للوثنيـة، ويكفـي في هـذا الـسياق المـشهد التـالي: بينمـا كـان بطـل المسلـسل يرقـد في المستـشفى بـين الحيـاة والمـوت بعـد أن أكـل طعامـا مـسموما وبعـدما أخـبرهم الطبيـب أنـه مـا لم يـستعد وعيـه مـع صـبيحة اليـوم التـالي فـإن فرصـة نجاتـه ضـئيلة، وقفـت البطلـة ليلتهـا بجـواره ترقبـه وتحدثـه وتحمـسه وتبكـي وتقـف بجـوار النافـذة وتنظـر للـسماء حتـى بـدأت الـشمس في البـزوغ وهـو لا يتحـرك وعنـدما جـاء صـديقه للزيـارة تركتـه معـه، وقالـت إنهـا سـتعود بعـد قليـل، وخرجـت مـن المستـشفى تجـري حافيـة القـدمين حتـى بـدأت الـدماء تنـزف مـن قـدميها وهـي لا تكـاد تـشعر، ظلـت تجـري مهرولـة حتـى وصـلت للمعبـد، وقالـت للكـاهن إنهـا تريـد الـصلاة وتريـد أن يحقـق الإلـه دعاءهـا فـردّ عليهـا الكـاهن إنـه يـستعد لإقامـة الـصلاة وبإمكانهـا أن تـساعده في إعـداد الطقـوس وأنـه إذا أرادت أن يـستجيب لهـا الإلـه لطلبهـا فعليهـا أن تعـده بتقـديم أغلـى شـيء في حياتهـا وتـترك هـذا الـشيء مقابـل تحقيـق دعائهـا ويتركهـا لتفكـر بعـض الوقـت في الـشيء الـذي تـستطيع تقديمـه، وبعـدها تقـف البطلـة في منتهـى الخـشوع أمـام الإلـه الـذي هـو مجـسد لـ (لينجـام رمـز الإلـه الهندوسـي، قـضيب شـيفا للعبـادة داخـل فـرج أم الإلهـة تـارا والـدة إلـه شـيفا) رمـز جنسي فاضـح بكـل مـا تعنيـه الكلمـة يوضـع عليـه الزهـور وتقـف البطلـة أمامـه بمنتهـى الخـشوع تـدعو وتـصاحبها موسـيقى بالغـة التـأثير ثـم ترتفـع الموسـيقى لتمنحنـا إحساسا بـالتوتر ومعهـا صـور مـسرعة البطلـة تـدعو بخـشوع وتبكـي، والـصنم قـد وضـع فيـه مـا يـشبه اللـبن وأشـعلت مـن تحتـه الـنيران يفـور، ثـم تظهـر صـورة البطـل وقـد دخلـت مـن أسـفل كمامتـه مـا تـشبه فقاعـة خـضراء شـفافة كتجـسيد للـروح أو أمـر الإلـه فبـدأ يتـنفس، الإخـراج بـالغ الإحكـام والترقـب سـيد الموقـف، والمحـصلة النهائيـة أن المـشاهد المـسلم والمـسلمة لا يـستنكر هـذا الـشرك القبـيح بـل يتطبـع مـع الأوثـان وتـصبح مألوفـة لديـه، وأيضاً يتشكك في قيمة الدعاء لله عز وجل.

إن الإلـه شـيفا عمومـا هـو محـور مسلـسل «حبـيبي دائمـا» فبطـل المسلـسل اسمـه رودرا وهـو أحـد أسمـاء هـذا الإلـه المزعـوم والـذي يعـني اسمـه «المـدمر»، أمـا اسـم البطلـة فهـو بارفـاتي، اسـم زوجـة شـيفا. وهكـذا نعـيش في أجـواء آلهـة الهنـدوس حيـث تمتـزج الأسـاطير بالـدراما، وفي هـذا الـسياق لا يمكـن أن ننـسى إلههـم كريـشنا الـذي هـو عامـل مـشترك في جميـع المسلسلات الهندية التي رصدتها.

طقوس الهندوس

المتابع للدراما الهندية لابد أنه سيتعرف جيدا على جميع طقوس العبادة الهندوسية بدءا من المعبد الصغير الموجود في كل بيت، مهما كان صغيرا، ويوضع فيه الإله الذي تعبده الأسرة بحسب موقعها الجغرافي في الهند، وفي العملين الذين قمت برصدهما كانت ديفي الإلهة الأم في مسلسل النظرة الثانية، وشيفا المدمر في مسلسل حبيبي دائما، تجتمع الأسرة في الصباح الباكر حيث الصلاة التي هي عبارة عن أغان دينية وثنية، وصينية توضع عليها الشموع وحلوى مقدسة يتم تقديمها للإله تعرف باسم حلوى التقدمات وعلبة صغيرة فيها مسحوق اللون الأحمر المقدس ثم يقوم مقيم الصلاة بتحريك الصينية بطريقة معينة حول كل شخص من المشاركين في الصلاة ويعطى له بركة اليوم حلوى التقدمات، ثم توضع النقطة الحمراء بين العينين، هذه النقطة توضع في مكان الشكرة السادسة التي يتحدث عنها علماء العلاج بالطاقة الحيوية والهدف من وضعها في الفلسفة الهندوسية الاحتفاظ بالطاقة داخل جسد الإنسان، وللأسف فإن الهندوس ينشرون دينهم بطريقة عكسية فبدلا من أن يعتنق الإنسان عقيدة ما ثم يمارس العبادات الخاصة بها فإن الهندوس يروجون لعباداتهم كلون من الرياضة أو عن طريق العلاج بالطاقة الحيوية ونحو ذلك مما انتشر في بلادنا، وبعد ذلك وتدريجيا يتم التعرف على العقيدة التي تقف وراء ذلك والتي ستنتهي في المحصلة النهائية لعقيدة وحدة الوجود.

عن الحب والزواج

استطاعت الدراما الهندية إزاحة الدراما التركية التي احتلت سنوات من وجدان العرب المفرغين والذين يبحثون بين ثقافات الشرق والغرب عما يملأ هذا الفراغ، الشباب على وجه التحديد، خاصة الفتيات منهن، يعانين من الفراغ العاطفي والنفسي ربما بسبب تأخر سن الزواج وربما بسبب الطلاق العاطفي الذي تعيشه الكثيرات لأسباب ليس هنا موضع ذكرها، ولا يمكن إغفال دور الفكر النسوي الذي جعل من كيان الأنثى كيانا موازيا للرجل، وتم الضغط على عقول الفتيات للقبول بهذا التصور النسوي بينما بقيت قلوبهن تعاني الفراغ وتبحث عن صورة أخرى للرجل والمرأة، هذا الفراغ أوقع الفتيات في حالة من التطرف المعكوس فتفاعلن وتعاطفن مع نساء مظلومات جدا ومضطهدات وعلى الرغم من ذلك يعشقن الرجل القاسي الظالم ويجدن المبررات له بل ويقمن بأعمال شبه مستحيلة حتى ينبت الحب من القلوب الصخرية المتحجرة التي يعيش بها هؤلاء الرجال، هذه الفكرة التقليدية في الدراما الهندية التي تناولها مسلسلا «من النظرة الثانية» و«حبيبي دائما»، وكلها قصص متشابهة من حيث النسيج العاطفي والنفسي.

المتابع للدراما الهندية سيتعرف جيدا على طقوس الزواج الهندوسي بدءا من ضرورة أخذ رأي الكاهن في توافق الفتى والفتاة حسب توافق أبراجهما أم لا، وهو الذي يحدد الساعة المباركة التي تتم فيها الخطبة مرورا بالحفل الغنائي انتهاءً بالنار المقدسة وأخذ العهود وعقد الزواج الذي ترتديه العروس ووضع الإكليل وتزيين رأس العروس باللون الأحمر.

الكارثة أن كثيرا من الأعمال الهندية تناقش قضية زواج المسلمة من هندوسي، وتدعو لذلك وتصم المسلمين بالتعصب إذا رفضوا ذلك.

العداء والكره للإسلام والمسلمين في السينما الهندية

السينما الهندية طافحة بمعاداة المسلمين واحتقارهم ولذلك حديث آخر، ومن الأعمال الهندية التي ناقشت ذلك:

١- فيلم فير زارا: ويحكي عن قصة حب عميقة تجمع بين الشاب الهندوسي فير والفتاة المسلمة الباكستانية زارا، تلك العلاقة التي ترفضها أسرة زارا التي تريد تزويجها من شاب مسلم، يسافر فير لباكستان ليأتي بزارا للهند

ويتزوجا، لكن والدة زارا تذهب إليه وترجوه أن يبتعد عن ابنتها حتى لا تجلب العار للعائلة، وبمثالية الشاب الهندوسي يستجيب فير لرجاء الأم ويعود أدراجه، لكن والد زارا يلفق له تهمة ويودعه السجن في باكستان، بينما تظن زارا أن فير لقي حتفه في حادث أتوبيس فتسافر للهند وتعيش مع أسرته وتنشيء مدرسة صغيرة لتعليم الأطفال هناك وتعيش على ذكراه، وبعد سنوات عديدة يتم الكشف عن الحقيقة ويعتذر القاضي الباكستاني لفير بعد شهادة من زارا أمام المحكمة الباكستانية، وفي نهاية الفيلم يصطحب فير زارا للعودة للهند ويزين جبينها باللون الأحمر، كناية عن الزواج الهندوسي.

٢- تمرد: يبدأ الفيلم بهجوم جنود باكستانيين على هنود سيخ، وطردهم، وتدنيس شرف بناتهم، ويضطر عندها السيخ للهجرة، والتشرد تحت وطأة الظلم الباكستاني.

بطل الفيلم «تارا سينغ» هندي من السيخ فقد عائلته خلال تلك الأحداث، ورغم عزمه على الانتقام من المسلمين، إلا أنه يقع في حب فتاة باكستانية مسلمة اسمها «سكينة» هي ابنة مليونير باكستاني دمويّ متعصب، ترفض «سكينة» الذهاب إلى باكستان، وتتزوج في الهند من حبيبها السيخي «تارا سينغ»، وترزق بولدٍ منه، يعارض والدها هذا الزواج، ويفضحه في الصحافة الباكستانية، التي لاتقل عنفاً وعنصرية عن الجنود الباكستانيين (حسب الفيلم)، وبعد أن يفشل الأب الباكستاني في التفريق بين الزوجين، يقوم باختطاف ابنته، وإرغام الزوج على اعتناق الإسلام بالتهديد، والعنف، وطبعاً كعادة أفلام بوليوود، يقوم البطل بالانتقام على شاكلة «رامبو الأمريكي»، وبطريقة كاريكاتورية يتراجع الأب المتعصب عن قناعاته، ويعترف قائلا: «لقد نسيت بأن الدين الأكبر، والأعظم هو الإنسانية».

الفيلم يسيء إساءة بالغة للمسلمين، والدين الإسلامي، مثل الزواج المحرم، والمستحيل الذي تم بين بطل وبطلة الفيلم، وأيضا تأدية البطلة المسلمة للصلاة، وهي ترتدي ملابس الهندوس، والسيخ، وتضع حليهم، وزينتهم.

٣- قلبي من أجلك: تدور القصة حول شاب هندوسي عاشق «أجاي»، يرغب الزواج من فتاة مسلمة «عائشة»، لكن والدها يرفض هذه العلاقة، ويطلب من مجرم مسلم «بهيجان» قتل «أجاي»، ينتظر «بهيجان» انتهاء شهر رمضان لتنفيذ الجريمة، ومثل كل القصص الهندية، لا يتمكن الشر من الانتصار، ويفوز الخير، والحب...

الفيلم أبرز كثيرا بشاعة وعنف الفرد المسلم، وسماحة الهندوسي، كما أورد الفيلم صوراً للمسلمين بالمساجد بمن فيهم «بهيجان» المجرم الذي يرتدي الطاقية الخاصة بالمسلمين، والكوفية الفلسطينية تذكيراً للمشاهدين طيلة أحداث الفيلم بديانته، وخلال سير أحداث الفيلم، يتكرر صوت الأذان كرمز للديانة الإسلامية[١].

وهكذا وبتكرار مشاهدة هذه الأعمال السينمائية الهندية يعتاد الشباب العربي المسلم على فكرة حب فتى أو فتاة من دين وثني والقبول بذلك وحقهم في الزواج الطبيعي وربما يتقبل البعض أن رفض وتحريم هذه الممارسات هو لون من التعصب الديني.

وأخيراً .. الأعمال الهندية التي تم دبلجة الكثير منها للغة العربية حتى يسهل التواصل معها بدأت تأتي أكلها، وإلا فما معنى أن يحتفل الشباب في عدد من العواصم العربية كالقاهرة وعمان وبيروت وأبو ظبي ورام الله والدار البيضاء بعيد الألوان الهندي ذي الأصول الدينية الهندوسية ويرقصون فيه الرقص الهندي ويلقون بالزهور والألوان على بعضهم البعض، وبعضهم في حالة عري!

الثقافة والديانة الهندوسية التي استغلت السماوات المفتوحة للتبشير بدينها وثقافتها أو فلنقل بشكل أكثر دقة أنها تكتفي في المرحلة الأولى بإزالة الوصمة العدائية من عقل وقلب المشاهد

---

(١) جمال الدين بو زيان، صورة الإسلام في بوليود .. كثير من العداء قليل من العدل، بتصرف.

المسلم نحو فكرة الوثنية وتجعله يشعر بالتطبيع مع العادات الهندوسية وكذلك العبادات والطقوس الهندوسية.

الثقافة الهندوسية استغلت أزمة الفكر النسوي الذي أرهق المجتمعات فقدمت نموذجا جديدا لقالبها القديم جداً، حيث قدمت قيم العائلة والأسرة الكبيرة الممتدة واحترام الكبار ولمس أقدامهم واحترام الزوجة الشديد لزوجها والقيام على رعايته، تلك القيم التي دعا المفكر الأمريكي ذو الأصول اليابانية فوكوياما الحضارة الغربية لاستلهامها من المجتمعات الشرقية خاصة الهند حتى لا تنهار منظومة القيم نهائيا في الغرب تحت وطأة الفكر النسوي المتطرف.

الصراع العربي الإيراني توصيف بلا توظيف

محمود أبو عبد العزيز القيسي(*)- خاص بالراصد

على الرغم من الأحداث الساخنة التي تجري على الساحة العربية والإسلامية، ومع التحدي الكبير الذي تواجهه العديد من الدول من قبل إيران والمليشيات الشيعية التابعة لها في جميع مناطق العالم، إلا أن جميع تلك الدول، العربية منها والإسلامية، لا زالت في طور التوصيف لما يجري، معرضة عن كل آليات التوظيف والمواجهة، لا، بل إنها تتجنب عمداً تلك الآليات، إنه الإغراق والتهاوي في هذا الوصف إلى حد التماهي، ولا يخفى أن أغلب تلك القراءات لهذا الواقع والذي يمكن وصفه بمسلسل الثأر التأريخي الذي لا نهاية له على الإطلاق، تعلقت أكثر ما تعلقت بالجانب الوصفي، مكتفية بعرض الوقائع، ولكن بألوان الإعلام الزائف، والذي يأبى أن يصف الحقيقة كما هي أو أن يسمي الأشياء بمسمياتها، هذا الجانب قد أعرض مليا عن مقدمات ذلك الصراع وأسبابه وحيثياته ومآلاته، والقوة التي ينطوي عليها.

(*) كاتب عراقي.

لاشك أن التوصيف ضروري كنقطة انطلاق وخط شروع للتشخيص الصحيح كي تكون الخطوة التالية هي التوظيف ثم الحركة والفعل، ولكن الاكتفاء به والوقوف على التل وندب الماضي، يمسخ الغايات ويحرفها، ومما يزيد الطين بلّة أن أغلب القراءات قدمت توصيفاً مشوها لأصل الصراع وكيفية إدارته ومآلاته بعيداً عن تجارب التاريخ، والتي تمثل بحق نسخة مكررة لهذا الصراع.

فمما أعرضت عنه تلك التوصيفات عمداً أو جهلاً كون الشيعة كلهم أو جلهم إنما يمثلون سيرة الولي الفقيه، وإن خالفوا في بعض الجزئيات التي لا يمكن أن تخرجهم عن خارطة الطريق العامة للولي الفقيه الشيعي.

لقد أغرقت تلك التوصيفات وعزفت كثيراً على أسطورة الشيعة العرب، والرهان على دورهم الوطني في بلادهم، مع أن نظرة سطحية سريعة للواقع وصفحات التاريخ تخبرنا بأن هؤلاء لم يمارسوا دور البناء في بلادهم وأوطانهم إلا على سبيل الكيد والضر، كما أن هذه التوصيفات فرّقت بين مطلق الشيعة وإيران وكأن هناك تقاطعا في الأدوار في هذا المعنى الواحد، ولم تدرك جميع تلك القراءات أن الشيعي -إلا الشاذ النادر الذي يؤكد القاعدة- في أي مكان من بلاد أهل السنة والجماعة يعتبر نفسه خلية جاهزة للعمل حين يأذن له العقل الجمعي بذلك، وأنه صورة طبق الأصل لكل المراجع والمعممين حقداً ولؤماً وكيداً لهذه الأمة.

وفي ظل الدور الساحر الذي يقوم به الإعلام نجد فيضاً من التضليل المتعمد لحقيقة هذا الصراع والإعراض بقصد أو بغيره عن المسميات الحقيقية لهذا الصراع، وأن مأزق هذا الخطاب الوصفي والذي طغى إعلاميا هو طرح أسئلة صحيحة، ثم يضلل الجمهور بتقديم إجابات غير سليمة، بل إنه يقدم مرافعات بائسة عن حب الوطن

والوفاء للأرض والثروات والخيرات معرضا عمدا عن قضية الدين والعقيدة والهوية، والتي هي الأصل في هذا الصراع.

نعم، إن المشكلة هي تقديم توصيف قاصر بلا توظيف ولا مبادرة للحل، وليت هذا التوصيف قد وقع من تلك الدول والحكومات والمؤسسات والإعلاميين الذين يديرون المشهد والمؤثرين في صياغة القرار فيه، بل حتى العديد من الرموز المحسوبة على التيار الإسلامي السياسي أيضاً يلجأ إلى التعميم والتسطيح والإعراض عن جذور ذلك الصراع وأسبابه وكيف واجهته الأمة عبر تاريخها الطويل.

والراصد الحكيم يلاحظ وبقوة طغيان التوصيفات الفرعية والتي لا تعد إلا أسبابا عرضية، أو طرح توصيفات لا علاقة لها بالواقع الموصوف لا من قريب ولا من بعيد، وهذا نوع من السفه أو هو نوع من هذيان المحموم.

إن هؤلاء يغضون الطرف عن كون إيران دولة دينية حتى النخاع، وأن من السفه مواجهتها بغير منطقها، ثم إن هذا التفريق المتعمد بين الشيعة وإيران، أو بين إيران والمشروع الشيعي، أو بين التشيع وإيران، أو بين الشيعة العرب وإيران، ليس له حقيقة على أرض الواقع، إذ أن نظرة سطحية لتاريخ التشيع تدلك على ذلك التفاعل بين الشيعة ومراجعهم وإيران، ونظرة أخرى للواقع الذي نعيشه تؤكد لهؤلاء الواهمين الحالمين أن ثمة ارتباطا بين كل الشيعة في العالم وبين كل دولة تدعي التشيع ارتباطا عضويا عميقا جداً.

إن توصيف البعض لما يراه من بعض الخلافات الظاهرية التي تحدث بين الشيعة سواء في الدولة الإيرانية أو بين علماء الشيعة بأنها خلافات حقيقية وأن في الشيعة أصواتا محقة يجب مساندتها، ما هو إلا توصيف يشي بالوهم الكثير والكبير، فخلافات القوم على تحقيق أكبر وأعظم المصالح لهم على حسابنا كحال حلفائهم من تحت الطاولة، اليهود!

كما أن محاولة جعل قضية الصراع مع الشيعة وإيران محصورة مع أقطار معينة أو مواجهة مع بعض المسلمين دون سواهم لهي محاولة بائسة ستعود على بقية الدول والمسلمين بمزيد من الخسائر كما رأينا في عدوانهم على الجميع في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرهم.

لست أدري هل تدرك تلك الدول أن جل الشيعة -على الأقل- إنما يمثلون خلايا مجندةً تلقائياً في أي بلد يتواجدون فيه، وقد لا نبعد النجعة لو قلنا إن كل شيعي هو في الحقيقة ممثل حقيقي لخامنئي أو أي مرجع لمراجعهم المعروفين.

إن إيران وكل شيعتها يخوضون حربا دينية وهم يدركون أبعادها وآثارها ونتائجها، في حين أن الدولة العربية تريد أن تجعل منها مجرد قضية صراع سياسي تتحكم فيه المصالح السياسية البحتة، ثم تقوم تلك الدول بعزل وحجب البدايات والمآلات عن شعوبها لفهم حقيقة صراعها مع المشروع الإيراني، ويمنعون عنهم الأدوات والأسباب التي تجعلهم سندا لدولهم، ثم حين تهاجمهم إيران يطلبون من شعوبهم نصرة الدولة، ويريدون من تلك الشعوب خوض المعارك دون أن يتحدثوا عن عقيدة أو دين، بل فقط عن وطن وأرض وشعب وحدود.

بينما تتميز إيران وعموم شيعتها بوحدة الخطاب ما يجعلهم بالحقيقة كتلة لا تتجزأ في السلوك والتطبيق، وتبادل الأدوار بين العوام والخواص قائم بينهم بالبداهة، وذلك من خلال التلقين الدائم والمستمر، فيما تشحن الشعوب السنية بالكثير من السذاجة، ومما يزيد الطين بلّه أن حكام تلك الشعوب وأدواتها الإعلامية التي تصنع شخصيتها تزيد من تلك السذاجة وتدفع بعملية التغريب دفعاً، في حين أن الشيعة لديهم هدف ومشروع واضح ويستخدمون العناوين الواضحة لكل تلك المواجهات وتلك الصراعات.

الدول العربية الإسلامية لا تهتم لقضية «السنة» بل تتنكر لها بشدة، وبالتالي فإن تلك الشعوب تقاتل بلا قضية ولا هوية، وتدخل المعركة بأمعاء خاوية وسيف من خشب.

لم يفقد مراجع الشيعة على طول فترات التاريخ ثقة الجماهير الشيعية بهم، ذلك أن هؤلاء المراجع عرفوا جيداً الأسباب الحقيقية التي تجعل من هؤلاء تابعين وجنودا صالحين مطيعين على طول الطريق، وكذلك فإنهم لم يبخلوا عنهم بذلك الخطاب الذي يتناغم مع مشاعر الباطن وأماني المستقبل، بل إنك لتجد ذلك التناغم العجيب بين هذا المرجع وبين ذلك الشيعي مهما تدنّى مستواه الثقافي وتجاوز حد المعقول والمألوف.

إن ما تفتقده التوصيفات الرائجة بين السنة هو الاختراق الفكري المرجعي لعقول عوام الشيعة بأن الفكر والعقيدة الشيعية هما سبيل عزتهم، ولذلك يقدّم الشيعة الغالي والنفيس في سبيل تحقيق أهداف أولئك المراجع والتي يعدونها في ذات الوقت أهدافا حقيقةً لهم.

إنها حرب جديدة بنفس الآليات والسبل القديمة، فما أشدّ غفلة وحماقة أولئك الذين يتنكرون لتوصيف حقيقة هذه الحرب الشيعية، كما يعرضون ملياً عن توظيفها بشكل سليم.

معركة الموصل رؤية تحليلية

عبد الهادي علي(*)– خاص بالراصد

تكتسب معركة الموصل ضد تنظيم داعش أهميتها من مدينة الموصل نفسها ومن موقعها، وفي كونها المدينة التي دخل منها داعش للعراق في أواسط شهر حزيران سنة ٢٠١٤، ولمعركة الموصل أبعاد سياسية عديدة، حيث قرعت طبولها قبل أكثر من سنة فلماذا بدأت الآن وما دلالات ذلك؟

من المفترض أن تكون معركة الموصل آخر معركة لإخراج داعش من العراق، وهذا يرجعنا إلى الحديث عن البداية، والبحث عن إجابة السؤال المعلّق: كيف تمكّن مئات الدواعش من هزيمة جيش جرار فرّ من أمامهم دون أن يطلق طلقة واحدة؟ وما الذي حصل في الموصل بالتحديد خلال السنتين الماضيتين؟

دوافع الحكومة العراقية الشيعية وإيران:

من الثابت والواضح أن داعش لم يقتحم الموصل، ولكنه أُدخل إليها بتسهيلات عدّة، ومن الثابت أيضًا أنّ الجيش العراقي لم يُقاتل، بل أُمر بالانسحاب من قبل رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة –آنذاك- نوري المالكي، ومن الثابت والواضح كذلك أنه لم يحاسب أحدًا على هذه الفعلة والخيانة!

طبعاً لن نجد جواباً اليوم ولكن المستقبل كفيل بإظهار الحقائق وفضح المسؤولين العراقيين عن هذه الجرائم بحق العراق وأهله. وإذا كان من المكشوف اليوم أن داعش أُدخل للساحة السورية ليجهض الثورة الشعبية السورية، فهو أدخل للعراق لأمر آخر!

فالحكومة العراقية الشيعية وإيران حققتا هدفهما من وجود داعش حيث كان مبررا ومسوغا لإنشاء الحشد الشعبي الشيعي، وتحويله للقوة رقم واحد في العراق، وأصبحت مليشيا تشبه مليشيا حزب الله في قوتها ونفوذها، والتي تعد حكومة أو دولة موازية للحكومة والدولة اللبنانية، وتسير للتحول لوضع مشابه للحرس الثوري الإيراني الذي همّش الجيش الإيراني، وبذلك أصبح لشيعة العراق قوة عسكرية خارج إطار الدولة والدستور يفرض سطوته على الجميع، ويوظف لموازنة الضغط الأمريكي على الحكومة العراقية الشيعية.

فالحشد الشيعي والجيش العراقي الطائفي يعبث بأي منطقة بالعراق وخاصة مناطق السُّنة بحجّة داعش، وفعلاً أصبح السُّنة بين مقتول أو مسجون أو مهجّر أو تحت الذل والاضطهاد وهو مخطط قديم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

في نفس الوقت أدركت الحكومة العراقية أنّ

(*) كاتب عراقي.

سياسة أمريكا تستنزفها ماليا في حرب دائمة، حتى أصبح العراق البلد النفطي مدينا لصندوق النقد الدولي، وتمَّ بيع نفطه لعدة سنوات قادمة، وشعرت إيران أنّ أمريكا تنافسها في نهب العراق وخيراته، فأصبح من مصلحتهم التخلّص من ورقة داعش حيث تحولت لمصدر إزعاج بدون عائد!

خلفيات الموقف الأمريكي:

بحُجّة حرب داعش أعلنت روسيا عن نيتها القدوم للعراق واقترحت تشكيل رباعية أمنية مشتركة بينها وبين العراق وسوريا وإيران، وهذا يتصادم مع الرؤية الأمريكية التي تعتبر العراق ساحة لها وحدها، وأن الروس لا يحق لهم التدخل فيها بخلاف أمريكا، التي تمكنت أن تتدخل في سوريا ويصبح لها دور بعد أن كانت سوريا حصة روسيا طيلة العقود الماضية.

وبسبب تحقق غاية الشيعة وإيران بالسيطرة على عموم العراق بحجة محاربة داعش، ومحاولة الروس التدخل بالعراق آن الأوان أن يتم التخلص من داعش من قبل الحكومة العراقية الشيعية وإيران وأمريكا ولكن لكل طرف أسبابه الخاصة.

وهذا التوقيت لإخراج داعش هو قرار أمريكي حتى لا تفقد زمام المبادرة في المنطقة؛ وفي نفس اللحظة هذا الوقت يدعم الديمقراطيين في سباق الانتخابات الأمريكية كذلك، ويقطع الطريق على التعاون الإيراني الروسي لإنهاء ملف داعش العراق لصالحهما بخلاف المصلحة الأمريكية.

لكن ماذا عن اللاعب التركي والكردي؟

أما الأتراك فيشعرون أنهم تأخروا عن مشاركة الآخرين بحُصة في العراق، وأنهم فوتوا عليهم أشياء كثيرة، وأن الوجود التركي الاقتصادي في العراق يمكن أن ينتهي بقرار بسيط من الحكومة العراقية؛ لذا كانت معركة الموصل فرصة لا تعوض، فتركيا معنية بالموصل منذ أكثر من ٩٠ عاما فقد كانت تريدها كجزء من إرث الدولة العثمانية.

أيضاً أدركت تركيا أنّ إيران والحكومة العراقية أصبحتا توظف تنظيم PKK الإرهابي ضدها مما يشكل خطراً على أمنها القومي، حيث تم افتتاح مكتب له في بغداد من قبل نوري المالكي الذي يقدم أيضاً ٨٠٠ دولار لكل عضو من أعضائه، الذين يتواجدون اليوم في منطقة سنجار داخل العراق كقوة عسكرية، وهؤلاء يشكّلون الخطر الأكبر على تركيا سواء كانوا في العراق أو سوريا.

لذا تفهم تركيا أبعاد المخطط العراقي الإيراني من استباحة الموصل السنية ودعم PKK الإرهابي بأنه نقل للمعركة للداخل التركي، وتستشعر تركيا بعد الانقلاب الفاشل أن أمنها القومي مهدد من سوريا والعراق بأدوات متعددة منها داعش ومنها PKK وأصبح من الضروري التحرك مبكراً لقطع الطريق على المخططات الإقليمية الإيرانية الشيعية بالحصول على ممر بري يصل إيران بالبحر الأبيض بجوار تركيا، وما يترتب على ذلك من ضرر وتهديد لأمن تركيا، ومخططات أمريكا وإسرائيل وروسيا بإعادة تقسيم المنطقة مما قد يهدد بتقسيم تركيا وتقزيمها من جديد.

وعلى اعتبار أن تركيا وإيران هما البلدان الأكثر قدرة في المنطقة على منافسة إسرائيل، كان الأتراك يخططون بحسن نية وبساطة (وبرؤية إسلامية عامة) خاصة رئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو لقيام مثلث عربي تركي إيراني للسيطرة على المنطقة، وكان الأتراك يظنون أن إيران سترحب بتقاسم الأدوار بينها وبين تركيا في العراق، وأن من الخير لإيران أن تكون تركيا شريكتها في العراق بدلاً من أن تكون أمريكا شريكتها هناك، ويبدو أن الأتراك بدأوا يستيقظون من هذا الحلم على وقع الخيانات والاعتداءات الشيعية العراقية والإيرانية تجاه تركيا.

ولهذا تشددت الحكومة العراقية برفض الوجود الشكلي التركي في العراق، وصعّدت الموقف مما خدم لعبة إيران الخبيثة لتقليل حصة الخصم التركي بالعراق، ومن جانب آخر: تضرر مصالح القوى والأحزاب الشيعة العراقية من وجود تركيا

السنية كشريك قوي بالعراق؛ لأنّه يعدل كفة سنة العراق.

أما الموقف الكردي فهو موقف معقّد: فطمع الكرد بالموصل طمع قديم، ومنذ الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣ حكم الكرد الموصل، وهي منطقة بالغة الأهمية بالنسبة لحلم كردستان كبرى في سوريا والعراق وتركيا، فهي منطقة عربية فاصلة بين كرد سوريا والعراق، وقد قامت شرطة الأكراد (الأشايس) بدور مبكر في إيصال التطرف للموصل منذ ٢٠٠٣، كي تكون مدينة رخوة يمكن الاستيلاء عليها، وقاموا بتصفية عدد من عناصرها العربية الجيدة، وطموحهم اليوم على ضم سهل نينوى إلى كردستان.

لكن الوضع الكردي هش في الداخل، فثمة صراع بين مسعود البرزاني (أربيل) وحزب جلال طالباني (السليمانية)، وهو صراع قديم جديد، فمسعود لا يُراد له أن يكون رئيس الإقليم ولا يراد التجديد له؛ لذا احتمى ولاذ بتركيا، وجلال حصان إيراني قديم. وهناك صراع بينهما تحرّكه إيران، وحلم الدولة الكردية عالميا غير مطروح حاليا، ونجحت الحكومة العراقية مع إيران في الضغط على مسعود البرزاني بغية إضعافه، فإيران تريد المنطقة الكردية تابعة لها، كي تمنع تحرك كرد إيران للانفصال والاستقلال وتوظيفهم كورقة بيد خصوم إيران، كما تريد إيران استغلال منطقة مسعود (أربيل) كممر لتحركاتها إلى سوريا.

الموصل في الصراع الدولي:

الموصل حاضرة بقوة في الصراع الدولي الكبير بين روسيا وأمريكا من جانب، وبين أمريكا وأوربا من جانب آخر، وبين روسيا وأوربا من جانب آخر.

فروسيا وفق تقسيم المناطق الروسي الأمريكي لا تتدخل في العراق ولا الموصل، وتريد من أمريكا أن تنهي داعش في سوريا والعراق، وترفض تهجير عناصر داعش من العراق إلى سوريا.

بينما إيران؛ ترغب بخروجهم لسوريا، ولا تريد ضرب داعش في سوريا لعدم قدرة النظام السوري على سد فراغ داعش، لأن إنهاء داعش سيمكّن الثوار من التفرغ لحرب النظام إذْ يشكّل داعش عائقا للثورة السورية منذ ظهوره.

أما الدول الأوربية وخاصة فرنسا وبريطانيا فتشعران أن اتفاقيات أوربا في بداية القرن في تقسيم المنطقة قد تتغير لغير صالحها؛ لذا تحرصان على بقاء تقسيمة سايكس بيكو، كما أن روسيا سلّطت الهجرة السورية على أوربا بما يهدد ديمغرافية أوربا ووحّدتها من خلال تصعيد القصف لتهجير السوريين وهو الذي حصل قبل سنة تقريباً؛ ثم تسليط الدواعش بالتفجيرات في أوربا كلما أيدوا الثورة السورية، لذا فداعش أصبح ثقلا على أوربا ولا بد من إنهائه في سوريا والعراق.

تكتيكات وفوائد جانبية لإيران في ظل معركة الموصل:

١- الاستفادة من وجود الحشد الشعبي في مناطق جديدة حيث تعاون الحشد الشيعي ومجموعة جلال طالباني لإضعاف نفوذ برزاني في كركوك والضغط عليه لتهجير العرب السنة من كركوك، لذا جاء هجوم داعش على كركوك قبل أيام.

٢- تعزيز وجود الحشد الشيعي والحكومة الشيعية في مناطق سنية كالأنبار عبر عدة عمليات سريعة، ولذلك جاءت عملية الرطبة التي تبين أنها من تسهيلات ميلشيا مقتدى الصدر «سرايا السلام» وغيرها من مكونات الحشد الشعبي الشيعي.

٣- الاستفادة من داعش الإيرانية في تسهيل دخول الحشد الشيعي إلى منطقة تلعفر بحجة الدفاع عن الشيعة لأن الحكومة وإيران تخططان منذ سنين لوجود محافظة شيعية في شمال العراق، بعد تقسيم محافظة نينوى بين السنة العرب والكرد والشيعة التركمان.

٤- كما أن أحد السيناريوهات المطروحة هو أن ينتقل داعش لصحراء العراق ليبقى يضرب بين

الفينة والأخرى مناطق العرب السنة ليستمر مبرر تدخل الشيعة في المناطق السنية.

لذلك تواجد الحشد الشعبي بالقرب من منطقة داعش في غرب الموصل لدخول تلعفر من طريق منطقة الحضر أولا، ولتسهيل خروج داعش إلى سوريا.

لا يفوتنا أخيرا أن نذكر أن الأمريكان يريدون إطالة أمد الحرب لغاية نهاية الانتخابات الأمريكية للاستفادة منها، ولعلي بذلك سلطت الضوء على تشابك المواقف في معركة الموصل، والأيام حبلى بكل جديد.

بين تقيّة الشيعة وتقيّة الأمريكان

فارس أنور الفارس(*) - خاص بالراصد

ينطلق التحالف الغربي الأمريكي مع الشيعة من تناغم ملل الكفر في الخارج، مع خطوط النفاق في الداخل الذي تمارسه الشيعة اليوم بأعلى درجاته ومراتبه مع أمة الاسلام والمسلمين، وتأتي التقية عاملًا مهمًا للتعمية على ما يحدث على الأرض، تضليلاً للرأي العام السني خاصة الذين هم بعيدون عن مواضع الاحتكاك والصدام، حتى لا يثوروا في الأمة وعيًا يفقدهم مكاسبهم ومواقع أقدامهم في بلدان المسلمين التي لهم فيها صولات وجولات، ويصير وضعهم به حرجًا قد يعود عليهم بأبشع الهزائم والانكسارات.

فالأمريكيون والغربيون يديرون دفة الصراع بطريقتهم الخاصة في التخطيط والتنظيم والترتيب، والشيعة هم الجهة التنفيذية الهمجية المتوحشة التي يحسن الأمريكان استخدامها في تحقيق أهدافهم، وهم لن يحتاجوا لكبير جهد وعمل إلا في العمل على شد وثاق أهل السنة في مقابل إطلاق أيادي الشيعة للفتك والقتل، والتقطيع والتحريق، وكل صنوف التعذيب والإيلام التي يوقعونها بنا، وهي تقوم بواجبها فوق المحسوب وأكثر من المطلوب، والواقع في كل من سوريا والعراق واليمن شاهد حي صارخ على ما يحصل بكل تفاصيله وتداعياته.

الشيعة هم المطية التي يمتطيها الشيطان الأكبر! في تنفيذ المشروع المهدوي الذي استبقوا به إمامهم الغائب في الثأر من ذراري قتلة الحسين بفعل آبائهم!!! كما نعق أحدهم بالأمس واصفًا ما سُميَ بمعركة تحرير الموصل بأنها «ستكون انتقامًا وثأرًا من قتلة الحسين؛ لأن هؤلاء الأحفاد من أولئك الأجداد».

ولا بد من الإشارة إلى المخدوعين من أهل السنة بالتقية الشيعية - التي تظهر خلاف ما تبطن - في سعيهم الحثيث الى التقارب معهم، مع ظهور كل الأمارات الدالة دلالة قاطعة على زيغهم وانحرافهم وضلالهم، وأنهم يسعون جادين إلى استغفالنا وخداعنا بالتقية وغيرها، وبكل ما يمكن أن يؤدي إلى إضعافنا وإضعاف أمتنا وتوهينها، وإسلامها لقمة سائغة إلى أعدائها.

برغم أن النص القرآني ذكر التقية في سياق استعمالها مع الكفار عند الإكراه ونحوه، فالشيعة على العكس من ذلك لا يستعملونها إلا مع المسلمين أهل السنة والجماعة، وهذا يتناغم مع توصيفهم أهل السنة بأنهم أكفر من اليهود والنصارى. وأزمتنا ومشكلتنا أن الغالبية العظمى من أمتنا الاسلامية السنية لا تعي هذه الحقيقة ولا تلتفت إليها، وبعضنا يحب أن يبقى كالنعامة التي تدفن رأسها!

إلا أن أول المعنيين بالتقية الشيعية وأول المستهدفين بها - قبل غيرهم - هم أمة الإسلام، وهم السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة، أما الكفار فلا يحتاج الشيعة إلى استعمال التقية معهم، ولم نعلم إلى يومنا هذا أنهم مارسوا التقية مع الكفار؛ فالشيعة ليس لديهم مشكلة لا مع اليهود ولا مع النصارى، ولا مع المجوس ولا مع ملل الكفر كلها وفق كل

(*) كاتب عراقي.

المعطيات العقائدية والفقهية والتاريخية؛ مشكلتهم العظمى وعقدتهم الكبرى هي مع أهل السنة والجماعة فقط؛ لهم مع أهل السنة ثارات وثارات، ونزعات ونزاعات، ونزغات!

وحال الكثير من أهل السنة والجماعة اليوم في تعاطيهم مع الشيعة، ومع القضية الشيعية، كحال المسلمين مع أهل الكتاب في حبهم ومودّتهم مع شدة بغضهم لهم، وفي اتخاذهم بطانة من دونهم، في الوقت الذي يسعون سعياً حثيثاً إلى خذلانهم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٢]. إلا أن ما يفعله الشيعة من المجازر في بلدان المسلمين هذه بحق أهل السنة والجماعة يكشف عن ذلك بجلاء لمن أراد أن يبصر حقيقة الشيعة والتقية التي يتسترون وراءها!

والعراق اليوم أحد أهم شواهد العصر على هذا الذي نقول، إلا إذا أردتم حجب الشمس بغربال، وهيهات! ألم يسلم الأمريكان السلطة ومقاليد البلد لهم، بالاتفاقات السرية، والاجتماعات المغلقة التي كانت على حسابنا وعلى حساب وجودنا وانتمائنا؟ وهم اليوم يريدون تسليم اليمن إلى الحوثيين بطريقة أو بأخرى، وإن كان ولا بد، فعلى الأقل أن يكون لهم وجود وكيان سياسيّ وعسكريّ قويّ في مقابل أن يكون الوجود السني فيها هشًا ضعيفاً لا يقوى على شيء كما حصل ذلك تماما في لبنان الذي صار رهينة لحزب اللات الذي صار يسوس البلد بسياسة البلطجية وقاطعي الطرق؛ فيخطف ويقتل ويحدث الفتن والقلاقل والفوضى والاضطرابات تحت يافطة المقاومة والممانعة التي صارت صك غفران لكل ما يقترفه من جرائم وانتهاكات.

وهذا لا غرابة فيه، فأهل السنة نواصب عند الشيعة، والنواصب بحسب التوصيف الروائي الشيعي: «شر من اليهود والنصارى»؛ فاليهود والنصارى أقرب إليهم منا، وكذلك الملل الكافرة تعي هذا وتعلمه، وتعرف أنها أقرب إلى الشيعة منها إلينا، وصار أساطين الكفر يصرحون بذلك ويعلنونه نهارًا جهارًا لا يستحون منه ولا يخجلون، والشيعة تتناغم معهم في تبادل الود والعشق ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [سورة المائدة: الآيات ٨٠- ٨٢]؛ ولأجله تتحالف معهم، وتعقد الاتفاقيات السرية والعلنية مع كل هذه الملل الكافرة في القديم والحديث.

فقد تآلفت ملل اليهود والنصارى هذه، على حرب الإسلام وأهله، وتوالفت مدرسة أهل البيت! وأتباع أهل البيت! وشيعة أهل البيت! مع أهل البيت الأبيض! توالفا حميميًا، عشقًا وضمًا وتقبيلًا؛ وترى أتباع أهل البيت اليوم يتمسحون ويتمرغون على أعتاب البيت الأبيض يقبلونه ويرتشفونه ويلطعونه، كما يتمسحون بقبور أئمتهم ويتمرغون على أعتابها، لعله اشتبه عليهم هذا البيت بذاك البيت وظنوه واحداً. والمهم أن كلمة البيت واحدة تجمع الجميع!

ويأتي بعد ذلك الترضي على ساكن البيت «بوش رضي الله عنه!!» الذي حقق لهم الحلم الذي لم يحققه الحسين وأولاده وذريته!

ثم خلف بوش المرتضى، أوباما حسين المجتبى؛ فأضاف على هذا البيت المبارك؛ البركات تلو البركات، والمقامات بعد المقامات، لقد تحوَّل البيتُ الأبيض إلى حسينية يندب فيها الحسين الأُوبامي أو الشيعي لا يضر؛ فرقاً واحداً بينهما أن الأول موشحًا بالبياض والآخر بالسواد؛ لكن بعد امتزاجهما وتوليفهما صار اللون رماديًّا قاتمًا؛ ولأن الإمام أوباما الحسين لما تشرف بالبيت الأبيض، أدخل على أهل البيت هذا وأتباعه ومقبّلي أعتابه وأبوابه وأركانه عزاءً روحانيًّا فذًا، ونفحًا حسينيًّا جديدًا، يثوِّر في النفوس العاشقة لأبي عبدالله الحسين مزيدًا من الثأرية والانتقامية، ويزيدهم به أوباما الحسين أملاً في إكمال الشيعة لمشروعهم الحسيني في التمكين! والتسلط! والتخريب! والتقتيل! والتذبيح؛ طبعًا، على مرأى ومسامع السيد أوباما وبرضاه ومباركته؛ أليس هو ابن الحسين؟ وتلكم الشيعة هم أتباع الحسين وأحبابه وشيعته؟ وإذا لم يكن الحسين قاسمًا مشتركاً، ونقطة التقاء في لَمِّ الشملِ، وجمع الكلمة، والتعاون المشترك، والتحالف المشترك في تصفية الحسابات التاريخية المشتركة مع النواصب والإرهابيين؛ فلا نامت أعين الجبناء!!

فليكن – في الحس الشيعي على الأقل – الحسينان واحدًا؛ ما ندري لعل هذا الأوباما بن الحسين هو مهدي الشيعة الذي انتظروه طيلة هذه القرون، أو على الأقل قد تشكّل في أوباما الحسين لينصر الشيعة، وقد يمكن أن يكون قد اشتبه عليهم هذا الحسين بذاك الحسين، كما اشتبه عليهم البيت بالبيت، المهم أنه سيحقق لهم الأمل المفقود، والهدف المنشود الذي انتظروه سنينَ طوال؛ ولا يضر بعد ذلك: ظهر المهدي أو لم يَظهَرْ؛ وهل سيحقق المهدي حفيد الحسين إلا ما حققه الأوباما بن الحسين؟

المهم أن الشيطان الأكبر! تحول - في ساعة من الزمن - ملاكًا مقدسًا، وكائنًا ملكوتيًّا، وربما إمامًا معصومًا منصوصًا، وأصلحه الله في ليلة؛ فأبكته آهات المستضعفين، وانكسار المقهورين، وأنين وطنين المظلومين على مدار التاريخ؛ الطامعين في وطن قومي لهم في بلاد الرافدين؛ كأولئك المفترشين لأرض الميعاد المقدسة في أرض فلسطين، وقد جمعتهم المظلومية، ووحدت بينهم الوشائج المصيرية، وما لا يعلمه إلا الله من المواقف المصلحية والمحسوبية.

فَرَقَّ الملاكُ المقدس بكل عواطفه وإشفاقاته لهؤلاء؛ كما رَقَّ شاؤول - من قبل - للخراف الضالة من بني إسرائيل؛ فأنزل عليهم رحماته بعد عذاباتِه، ومسراته بعد أحزانه. فحري بهذا الشيطان الأكبر!! عفوًا! الملاك المقدس! أن يُمنَحَ وسامُ المهدوية بأعلى درجاته ومراتبه ومقاماته!

ولم ينس الشيعة لصاحب الفضل فضله، فردوا عليه فضله أضعافاً مضاعفة، وصاعًا بصاعين؛ فهم يقدمون له يوما بعد آخر، وعلى مائدته الموشحة بشعار العدالة، وعلى نصب الحرية الشامخ؛ قرابين المذابح، ونذور المسالخ على مقاصل التعصب الطائفي المقيت، بالدريل والمسالح، لإدخال الفرح والسرور والحَبور إلى قلبه المكلوم بجرح الحسين.

لكن الشيخ أوباما يحسن التقية بحذاقة، ويمارسها بمهنية هي تقية الدبلوماسية الأمريكية التي تدرس في معاهدها وجامعاتها؛ لا تقية الشيعة الهمجية المتلجلجة في أفواه الموتورين، والمعجونة بعقد التاريخ المظلم، التي خرجت من تحت الأرض من كهوف الكوفة ومغاراتها المنتنة، وعلى أيدي أولئك الزائغين الزائفين الذين كانوا - وما زالوا - ينتحلون مودة أهل البيت.

والشيخ الأمريكي يريد الشيعة يده الضاربة وقبضته الحديدية التي يصفي بها حساباته التاريخية في التحدي الحضاري والتاريخي الذي تواجهه المنظومة الغربية من هذا المارد الإسلامي السني الذي أقلقها قرونًا متطاولة، وأرغم أنوفها في أوحال المياه الآسنة في العمق الأوربي جنوب فرنسا غرباً، وعلى أسوار القسطنطينية شرقاً؛ وشكَّل لها – ولا يزال – أرقًا مزمنًا، وقلقًا أقضَّ مضاجعها، وأورثها مزيدًا من العقد التاريخية والحضارية

وتداعياتها في الخوف من المجهول القادم فهي تعيشه بكل مشاعرها وأحاسيسها ولا تريد أن تنساه؛ فعقد الماضي التاريخية من هذا المارد من كلا الفريقين هو القاسم المشترك بينهما، وهو الذي يرسم خارطة الطريق اليوم كما رسمها بالأمس في هذا التحالف المشؤوم بين الرافضة والغرب، وعلى رأسهم الأمريكان؛ فليكن الشيعة - كما كانوا أبدا - هم حصان طروادة الذي سيفتح لهم منافذ أسوارنا- كما فتحها ابن العلقمي ونصير الطوسي للتتار من قبل، وكما يفتحها شيعة اليوم للأمريكان - ويمهد لها طريق الاحتلال والاستعمار من جديد، ويوطأ فيه لأعداء الأمة التي لا بد من استئصالها والقضاء عليها قبل أن تنهض من جديد، وتعيد أمجادها الغابرة.

وليس أفضل من الشيعة مطية يمتطيها الكابوي الأمريكي لتعبّد له أرض الإسلام فهذه عادة تاريخية، ونحلة عَقَديِّة وعُقَدية، وطبيعة تتجدد كل حين للشيعة لا يمكنهم تركها ولا التخليَ عنها، حتى يبلغ بهم الأمريكي غايته، ويحقق بهم مآربه، حتى إذا انتفت حاجته منه تخلص من عبئه برصاصة يطلقها في جبينه ليرديه قتيلاً صريعاً غير مأسوف عليه.

المهم أن الشيخ أوباما يحسن التقية وبمنتهى الحذاقة والحِرَفية عندما يقول للمسلمين: «نحن لسنا أعداء للإسلام والمسلمين، والمسلمون ليسوا أعداء لنا» لكن إدارته في نفس الوقت تسمح للآلة العسكرية والميلشياوية بأن تحصد المسلمين من أهل السنة في الشام والعراق واليمن بلا هوادة وبلا رحمة، وتسمح إدارته بتدخل وتدفق الآلاف من ميلشيات حزب اللات والشيطان والميلشيات الشيعية في كل من العراق ولبنان وإيران وباكستان وأفغانستان، وتوج ذلك كله بالسماح للآلة العسكرية الروسية - وبإذن كنسي صليبي - بأن تدك المدن السورية - بأهلها - دكا، وتطحنها طحنًا، وبرغم ذلك كله يبقى أوباما وإدارته بمنأى عن العداء للإسلام وأهله؛ لكن إدارته أيضًا مهتمة جدًا جدًا، وتذرف لذلك أنهار من دموع التماسيح؛ بالأكثرية المظلومة – المزعومة- في العراق ولا بد من استرداد حقوقها المسلوبة طيلة أربعة عشر قرنًا.

وهم كذلك خائفون على مصير ومستقبل الأقلية العلوية النصيرية في سوريا الشام ولا بد من ضمانات صارمة في الحفاظ على حقوقها، وأن يكون لها وجود مشرف في أيِّ تغيير قادم؛ فالإعلام الغربي والأمريكي ليس مهتمًا بالأكثرية التي تُسحق سحقاً في الشام، لا يلتفت إليها ولا إلى آلامها، بالقدر الذي يؤلمه أن تضيع حقوق الجلادين الأقلية؛ ولعلكم عرفتم الازدواجية في التعاطي الأمريكي الغربي بين الخوف على الأكثرية في العراق، وعلى الأقلية في الشام كشفته الغرف المغلقة، والكواليس المعتمة، في التواطؤ على أمة الاسلام، ودين المسلمين، بين هؤلاء الأعداء التقليديين من خارجها، وهؤلاء المنافقين من داخلها المتسمين بشيعة أهل البيت! وأتباع أهل البيت! فإن ثمة قاسما مشتركا هو الذي يشكل التحالف المشؤوم بينهما؛ فالحقوق لا يستحقها إلا الشيعة في البلدين سواء كانوا أقلية أم أكثرية، ولا بد من خلق كل المبررات إلى حد التناقض الصارخ، والازدواجية في أخس دركاتها، والكيل بمكيالين، طبعا مع خلط الأوراق حتى لا تتكشف الحقائق على ما هي عليه؛ ويأبى الله إلا أن يخرج المكنون، ويظهر المكتوم كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩].

وحين يَحرق الروس حلب ويدمرون كل شيء فيها، فإن الرئيس الأمريكي يوحي لإعلامه بأن يسرّب ويسوِّق كآبته على هذا الذي يحدث فيها، فهذا أقصى ما تقدمه الإدارة الأمريكية وهي ترى المجازر التي تحصد آلاف السوريين.

لكن أوباما، وهو مكتئب على الوضع في حلب، فإنه لن يسمح للحلبيين أبدا بمناطق آمنة، ولا بممرات آمنة، ولن يسعى إلى وضع حد وخطوط

طول وعرض للسلاح الجوي السوري والروسي، ولن يمنعهم من القتل والتدمير، لكنه في مقابل ذلك يمنع السوريين من أن يمتلكوا صواريخ مضادة للطائرات حتى يحموا بها أنفسهم من حمم هذه الطائرات وجحيمها.

إن رسالة أوباما للشعب السوري وفق هذه المعطيات وغيرها؛ أن لا خيار لكم أيها السوريون إلا الموت، ولا شيء غيره!!

أما الشيعة فبرغم كل ما يصنعونه من الجرائم والمجازر والإيغال في دماء الأبرياء من أهل السنة، إلا أنَّهم لا يخجلون من أنفسهم حين ينسبونها إلى هذا البيت الطاهر العفيف! تسويقاً لأنفسهم، وعلى حساب أهل البيت، زاعمين بأن ذلك طاعة لهم، وتنفيذًا لإرادتهم، واستجابة إلى تعاليمهم في نسبة مخالفيهم إلى الكفر والنصب، ثم استحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وهم في الوقت الذي يقارفون فيه أعظم الجرائر والجرائم، سلخا للجلود، وتقطيعًا للأعضاء، وتمزيقًا للأجساد، وتثقيبًا للأبدان، فهم في ذات الوقت - وبكل صفاقة - يتمسكنون ويرفعون أكف الضراعة تظلمًا وتشكيًّا من أعدائهم الإرهابيين والتكفيريين! وشناعة أفعالهم وبشاعتها لا تقل عن بشاعة أولئك المارقين، بل لا نسبة بينها وبين بشاعة الإرهابيين وشناعتها من أي وجه من الوجوه، وهي التي ستجلب عليهم مزيدًا من العار والشنار كما هو دأبهم في القديم والجديد.

والنفاق الأمريكي والغربي لا يقف عند هذا الحد في التعاطي مع منافقي هذه الأمة في التآمر على أمة الاسلام، فأهل السنة – وحدهم – هم الموصومون بالإرهاب، أما الشيعة فهم حمل وديع ولو قارفوا أعظم الجرائر والجرائم التي يندى لها جبين الإنسانية، لكن ما دام خنجر الشيعة مغروزًا في نحر الاسلام والمسلمين فهم بمنأى عن وصمة الإرهاب، ولو فعلوا الأفاعيل، وما دام سيفهم مسلطًا على رقاب المسلمين فلن تتحرك المنظمات الحقوقية، ولا المنظمات الإنسانية، ولا المحكمة الجنائية ولا ... ولا ... إلخ.

إن إنسانية هذه المنظمات تقف عندما يكون الدم مسلمًا موحدًا، ولا تتحرك إنسانيتهم قيد أنملة في إيقاف النزيف، إن ضمير الإنسانية يتبلد ويموت حين يكون الضحية إنسانًا منسوبًا إلى الإسلام وبالذات إن كان من أهل السنة والجماعة، إنه يصمُّ آذانه عن صراخ الأطفال وأنين الضعفاء، ودموع الثكالى، يعطيها ظهره ولا يلتفت إليها كأنها خلقت من طينة غير طينة الإنسانية التي يتشدقون بحمايتها والدفاع عنها.

ويظهر النفاق الغربي والأمريكي والمكر الصليبي الأهوج أكثر فأكثر، حين يعلنون بلا حياء ولا مواربة بأنهم لا يريدون أن يكرروا تجربة العراق في سوريا، وأنه لابد من الإبقاء على كل المؤسسات الأمنية والمخابراتية والحزبية للنظام، حتى لا يمس التغيير موازين القوى باتجاه أهل السنة والجماعة؛ وإذا كان لابد من التغيير فهو في بعض الوجوه والأشكال والصور لا غير، إرضاءً شكلياً لأهل السنة، بل استغفالًا وتخديرًا لهم، وتنفيسًا مؤقتًا لمعاناتهم، تعود بعدها آلة الذبح والقتل والتشريد فيهم كما كانت في عهدها الغابر، وحتى تبقى المقصلة مسلطة على رقابهم؛ بحسب النفسية الصليبية الحاقدة، وكذا النفسية الشيعية البغيضة.

إنها نفسها الطبيعة التي ورثوها عن أسلافهم في التحامل على هذه الأمة والسعي الحثيث والجاد لسحقها واستئصالها ومحوِ كيانها ووجودها، ودينها وانتمائها، وآثارها ومآثرها.

صلة الحركات السنية بالشيعة وإيران بين وهم الوحدة وخبث الفرقة والطائفية!

أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

اليوم، وبعد تجربة بلغت مئة عام تقريبا من صلة الحركات الإسلامية السنية بالشيعة وإيران لا يزال البعض حائراً لا يعرف حقيقة العلاقة وأطوارها وتاريخها ونتائجها وما هو الصواب والخطأ فيها!

ولا يزال البعض يتوهم أنه أكثر نضجاً وأكبر وعياً وأنه سينجح في إقامة الوحدة والتعاون بين السنة والشيعة والقضاء على الفرقة والعدوان بينهم وأنه سيمكنه تجاوز جبال الجماجم وأنهار الدماء التي سُفكت عبر محطات التاريخ!

إذا تجاوزنا مرحلة جمال الدين الأفغاني، والتي لا تزال بحاجة لحفريات كثيرة لفهم حقيقة فكره وشخصيته ودوره، هل كان مصلحاً صادقاً أم مبشّراً ماسونياً أو إيرانياً وداعية شيعياً، حيث تتنازعه الآراء والنظريات ولا تزال الحقيقة تجاهه لم تظهر وتستقر بعد.

إذا تجاوزنا ذلك وبدأنا برصد علاقة الحركات السنية بالشيعة وإيران سنجد أن بداية ذلك وقع للشخصيات الرئيسة في ظهور الحركات الإسلامية السنية، حيث نشرت مجلة المنار - التي كان يصدرها العلامة رشيد رضا- عدة مقالات له عن فشل تطوير العلاقات السنية الشيعية التي سعى إليها منذ سنة ١٩٢٠م في دمشق في حوارات مع عدد من الشخصيات الشيعية والسنية من أهمها الملك فيصل الأول، وتجددت هذه الحوارات في القاهرة سنة ١٩٢٦، ولكن تبين أن الشيعة لا يريدون علاقات بنّاءة للطرفين أو للأمة بل علاقات لمصلحتهم فقط، وأنهم لا يتورعون عن نشر عقيدتهم وطعنهم في الصحابة بين المسلمين دون اكتراث للتوافق أو الوحدة المزعومة، وقد فصّل ذلك رشيد رضا في كتابه «السنة والشيعة».

بعد هذه التجربة الأولى جاء للقاهرة أبو عبد الله الزنجاني ثم عبد الكريم الزنجاني كمبعوثين شيعيين عراقيين من قبل مرجع الشيعة بالنجف العراقية حسين البروجردي سنة ١٣٥٣هـ، حيث حاولا نشر وبثّ الدعاية للتشيع في المجتمع المصري، ولكن تصدي العلماء المحققين كالعلامتين محب الدين الخطيب ومحمد الخضر حسين وكشفهما حقيقة تعصبهما الشيعي وكرههما للصحابة أفشل هذه المحاولة الأولية.

ثم أتبعهما البروجردي بثالث هو الشيخ محمد تقي القمي الذي تواصل مع الأستاذ حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وزار مقر الجماعة عدة مرات، كما ذكر ذلك المرشد الثالث للجماعة الأستاذ عمر التلمساني، ونجح القمي بتأسيس دار التقريب في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ- ١٩٤٦م، بالتعاون مع البنا، ثم تقابل البنا مع المرجع الشيعي الإيراني أبي القاسم الكاشاني في الحج سنة ١٩٤٨م، وقد تسبب هذا الموقف من البنا تجاه الشيعة إلى تبادل المقالات والردود مع أستاذه محبّ الدين الخطيب، الذي كان قد أسس للبنا أول صحيفة باسم الإخوان، وتولى استصدار ترخيصها باسمه وطباعتها في مطبعته الشخصية، وقد نشرت هذه المقالات في صحيفة الإخوان المسلمين وصحيفة الفتح.

وفي عام ١٩٥٤ زار القاهرة نواب صفوي زعيم جماعة «فدائي إسلام» وهو متعصب شيعي إيراني فكان محل ترحيب وتقدير من الإخوان هناك.

ومن بعد البنا واصلت جماعة الإخوان الصلة بالشيعة بشكل أو آخر، وهنا نجد تجربة د. مصطفى السباعي، مؤسس حركة الإخوان في سوريا، سنة ١٩٥٣، والذي مضى في مسار التقارب والانفتاح مع الشيعة ممثلين بمرجعهم عبد الحسين شرف الدين، ولكنه صدم من إصرار الشيعة على التمسك بكل ما يحطّم الوحدة الإسلامية برغم كل الشعارات الجميلة عن التقارب والتعاون، وقد سجل السباعي تجربته في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع».

(*) كاتب أردني.

أما في العراق فقد كان بعض الشيعة أعضاء في جماعة الإخوان، مثل طالب الرفاعي، الذي عُرض عليه تولي قيادة الجماعة سنة ١٩٦٠ لكنه رفض، ثم شارك بتأسيس حزب الدعوة الشيعي العراقي!

ثم جاءت ثورة الخميني سنة ١٩٧٩ والتي أيدتها جماعة الإخوان بكل فروعها في العالم، رغبةً في الوحدة الإسلامية ومحاربة المحتلين، فقام وفد ممثل لعدد من جماعات الإخوان في العالم بزيارة تهنئة للخميني بنجاح الثورة، وتم إسكات بعض الأصوات النشاز في داخل الإخوان والذين كان لهم معرفة واطلاع على عقائد الشيعة وتجاربهم المرّة مثل د. عدنان سعد الدين ود. عمر الأشقر وقد دوّنا تلك الحكاية في مذكراتهم الشخصية.

وبارك ثورةَ الخميني العديد من الشخصيات والجماعات الإسلامية السنية في العالم منهم نجم الدين أربكان من تركيا وأبو الأعلى المودودي من باكستان وغيرهما، بل حتى حركة فتح الفلسطينية هنأت الخميني بالثورة، وكان ياسر عرفات (أبو عمار) أول شخصية تصل طهران لتهنئة الخميني وقد سبق لحركة فتح أن دربّت عناصر حركة أمل الشيعية اللبنانية وعناصر إيرانية شكلت فيما بعد نواة الحرس الثوري الإيراني، وهذا الترحيب من مختلف الحركات السنية بالثورة الإيرانية جاء على خلفية حب الوحدة الإسلامية وشعورا منها بفرحة الشعب الإيراني بالتخلص من ديكتاتورية الشاه.

وقد شارك الخميني في الثورة على الشاه قياداتُ السنة في إيران مثل الشيخ أحمد مفتي زادة والشيخ ناصر سبحاني، واللذين كان جزاؤهما - بعد تمكن الخميني من السلطة- السجن مع التعذيب ثم الإعدام!

وهنا بدأت صفحة جديدة في صلة الحركات السنية بالشيعة وإيران، ففي المرحلة السابقة كانت القضية علاقةً بين جماعة أو تنظيم مع شخصيات شيعية، وكان الإخوان يأملون تسخير الشيعة للمصلحة الإسلامية والوحدة الإسلامية -بتقديرهم هم- بينما كان الشيعة يأملون اختراق الإخوان والمجتمعات السنية من خلالهم، ولكن وعي البعض من القيادات كرشيد رضا ومحب الدين والسباعي منع ذلك، أيضا كان اغتيال البنا في سنة ١٩٤٩، ثم صراع الإخوان مع النظام الناصري سببا لتوقف تمدد العلاقة مع الشيعة.

لكن مع نجاح ثورة الخميني وتكوّن دولة شيعية تتبنى علنًا تصدير الثورة، تحولت العلاقة إلى محاولة دولة توظيف جماعة أو جماعات سنية لمصلحة مخططاتها الطائفية، وهنا مكمن الخطورة!

استغل نظام الخميني هذه العواطف الإسلامية وبدأ بحملة علاقات عامة مع قواعد الحركات الإسلامية من خلال سفارات إيران في الدول العربية والإسلامية حيث بدأت تستقطب الطلبة للدراسة في طهران وتوزع عليهم الكتب والصحف والمجلات التي ترفع شعارات الوحدة والتضامن الإسلامي والعداء للإمبريالية والصهيونية والحكام الطغاة، وفعلاً تأثر بعض الطلبة بذلك وتحوّل بعضهم للتشيع العقدي كما حدث في السودان وتونس والجزائر ومصر وفلسطين ونيجيريا، وأصبح هؤلاء الطلبة اليوم قادة للجماعات المتشيعة في بلادهم!

وتأثر عدد أكبر من هؤلاء بكثير - بل قل جمهور الحركات الإسلامية من القيادات والقواعد- بالتشيع السياسي المتمثل في تأييد إيران في حربها مع العراق، وفي عدائها لدول الخليج العربي، وفي دفاعها عن التشيع ونفيها طائفيته وخطورته في وجه الدعوة السلفية التي انفردت بالتحذير من طائفية وخطر وعدوانية الأفكار الدينية للخميني ونظام الملالي، وشهدت ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي صراعات طويلة وحادة حول حقيقة الخطر والزحف الشيعي الذي ترعاه إيران وتوظف فيه علاقاتها بالحركات الإسلامية السنية بين السلفيين وغيرهم من الحركات الإسلامية.

ورغم أن العديد من الحركات الإسلامية تعرضت للغدر والخيانة من نظام الملالي طيلة تلك السنوات إلا أنها لا تزال تحافظ على موقف ودّي ومتصالح مع نظام الملالي، ومن أمثلة ذلك:

ما تعرضت له جماعة الإخوان في سوريا من خيانة في الظهر بتأييد الخميني علناً لحافظ الأسد

في قتلهم وإبادتهم سنة ١٩٨٢ - كما يقتل خامنئي علناً اليوم مع بشار الشعبَ السوري إخوانًا وغير إخوان- ولكن بقيت جماعة الإخوان - التنظيم العالمي وبقية الفروع- على علاقة وثيقة بنظام الخميني ونظام الأسد!

وأيضاً ما قام به نظام الملالي من رفض استقبال الأستاذ راشد الغنوشي سنة ٢٠٠٧ والذي كان ضمن وفد المؤتمر القومي العربي وذلك بسبب صفقة عقدتها إيران مع نظام بن علي لتسهيل وضع المتشيعين في تونس مقابل عدم دعم الغنوشي بوصفه معارضاً! واليوم نجد الغنوشي يمد يد الصداقة لإيران ووكلائها الشيعة في لبنان وتونس!

وفي لبنان قامت إيران ووليدها حزب الله بإنهاء قوات فجر السنية اللبنانية في الجنوب وطرابلس التابعة للجماعة الإسلامية في لبنان والتي تصدت للعدوان الإسرائيلي سنة ١٩٨٢، حيث تم إضعافها ومن ثم جعلها تحت إمرة حزب الله ومن ثم تم تسليمها لحليف حزب الله فتحي يكن الذي انشق عن الجماعة، وأسس جماعة هلامية موالية لحزب الله!

وفي فلسطين عمد نظام الملالى لدعم حركة الجهاد الإسلامية واختراقها لتصبح شيعية وقد نجح في ذلك نسبياً، ومع ذلك أمرت مَن تشيع من قادة الجهاد بالانفصال وتأسيس حركة الصابرين في عام ٢٠١٤ كحركة سياسية عسكرية بعد أن كان نشاطهم ثقافيا واجتماعيا، أيضا عمد نظام الملالي إلى دعم حركة حماس بالمال والسلاح بقدر ما يحقق لهم تسللا إلى غزة، وسيطرة على مراكز صنع القرار في الداخل والخارج، وقد تبين هذا من تسريب مكالمة د. موسى أبو مرزوق، القيادي في حماس، بأن إيران تكذب ولم تقدم دعمًا لحماس منذ سنة ٢٠٠٩ وحتى نهاية سنة ٢٠١٥، وبرغم كل ذلك يخرج أبو عبيدة، الناطق العسكري باسم كتائب القسام، ليقدم الشكر العلني لإيران سنة ٢٠١٤!

وبرغم كل هذه الغدرات الإيرانية والشيعية وغيرها فقد بقي هوى الحركات السنية مع إيران والشيعة ركضًا خلف سراب الوحدة مع الشيعة والتعاون في المقاومة ضد الصهيونية والإمبريالية، بينما نظام الملالي يراكم التسلل للبلاد السنية وتجهيز الخلايا النائمة وتكوين تحالفات بديلة للمستقبل مع خصوم الإسلاميين من اليساريين والماركسيين والناصريين!

بل لما أعلن الشيخ القرضاوي رفضه للغزو الشيعي الإيراني للبلاد الإسلامية سنة ٢٠٠٦ ومن ثم اعترافه بندمه على انخداعه بدعوى التقريب وأن الشيعة كانوا يستغلون ذلك للتسلل وتشييع السنة في الخفاء، حيث ظهرت نتائج الجهود التبشيرية الإيرانية الشيعية في أوساط الكثير من الطرق الصوفية في السودان ودول أفريقيا وآسيا والتي تسلل لها التشيع بغطاء حب آل البيت وتقديم الأعطيات والدعم ... لقي هذا التبدل في موقف القرضاوي تنديداً من المرشد العام للإخوان المسلمين مهدي عاكف وعدد من الشخصيات المستقلة مثل فهمي هويدي وسليم العوا، لشدة تعلقهم بسراب الوحدة الإسلامية، هذا إذا أحسنّا الظن فيهم! بينما أيد القرضاوي المراقبُ العام لإخوان الأردن د. همام سعيد، والمراقب العام لإخوان سوريا علي صدر الدين البيانوني وراشد الغنوشي رئيس حركة النهضة التونسية وجماعة الإخوان المسلمين في إيران نفسها!

حتى جاء الربيع العربي وكشرت إيران وملاليها وحرسها الثوري وميلشياتها في دول متعددة عن أنيابهم وعدائهم الوحشي تجاه المستضعفين والأبرياء الذين طالما تاجرت بقضاياهم وهمومهم، وقد أحدث هذا صدمة كبيرة في الشارع السني ويقظة نحو لأطماع الإيرانية الشيعية مما أفقد إيران وحزب الله والشيعة الكثير من رصيد شعبيتهم عند أغلب المسلمين في العالم، وهنا حدث تحول في موقف الحركات الإسلامية السنية من إيران والشيعة لكنه لا يزال تحول تكتيكي وليس استراتيجيا.

فبرغم المجازر الطائفية البشعة التي تقوم بها إيران وميلشياتها الشيعية الطائفية من العراق ولبنان واليمن ودول أفريقيا وباكستان وأفغانستان وغيرها ضد الشعوب المستضعفة في العراق وسوريا ولبنان

والـيمن وعمليـات الـتفجير والإرهـاب في الكويـت والبحـرين والـسعودية، فـإن الكـثير مـن الحركـات الـسنية لم تقطـع علاقاتهـا بـإيران ووكلائهـا كحـزب الله، ولا تزال تحافظ على ترك الباب مواربا معها.

فحركـة حمـاس لا تـزال تـصرح بـأن إيـران سـند مهـم للقـضية الفلـسطينية، وحركـة النهـضة في تـونس استـضافت في احتفالاتهـا الأخـيرة سـنة ٢٠١٦، منـدوبين عـن إيـران وحـزب الله، والحركـة الإسـلامية في تركيـا عمومـاً لا تـزال تـرى في مجـازر إيـران بحـق أهـل سـوريا خطـأ سياسيا لـيس أكثـر، وهـي قناعـة تسود عند قطـاع واسـع مـن الحركـات الـسنية، بـأن القيـادة الإيرانيـة الحاليـة حـادت عـن نهـج الإمـام الخميني! والـبعض يعتقـد أن هنـاك أطرافـا في إيـران ورّطـت نظـام الملالـي في هـذه المواقف الطائفية!

ولعـل تغاضـي جماعـات الإخـوان في العـالم عـن إدانـة الحـزب الإسـلامي العراقـي -واجهـة الإخـوان العـراقيين- علـى مـشاركته في شـرعنة النفـوذ الإيرانـي والـشيعي في العـراق مـن أبلـغ دلالات الموقـف المـوارب للحركـات الـسنية مـن إيـران وجرائمهـا الطائفيـة البـشعة، الـتي تمارسـها بكـل إصـرار وعنـاد بـل وتـشرعنها بالفتـاوى والتـصريحات مـن كبـار المراجـع الدينيـة والـسياسية، وتتوافـق مـع إيـران القـوى الـشيعية الأخـرى كـالمرجع الـشيعي السيـستاني، الـذي أصـدر فتـوى تأسـيس الحـشد الـشيعي الطـائفي، ومقتـدى الـصدر الـذي لا يعـارض إلا تقلص نفوذه لصالح مليشيات شيعية أخرى.

فـلا تـزال الحركـات الـسنية تـرفض بـسذاجة تقيـيم إيـران بنـاء علـى مواقفهـا الأيدلوجيـة المعلنـة مـن العـداء لأهـل الـسنة وتكفيرهـم وشـرعنة قتلـهم والوعيـد بـاحتلال مكـة والمدينـة، كمـا يرفـضون بعنـاد مـا تعلنـه إيـران مـن إسـتراتيجية قائمـة علـى التمـدد والاحـتلال لكـثير مـن الـدول العربيـة والـسعي الحثيـث للتعـاون مـع الغـرب وروسـيا وإسـرائيل بمـا يحقـق مـصالحها على حساب المسلمين السنة في المنطقة!

وكـشف الربيـع العربـي عـن مـدى عمـق تعـاون واخـتراق إيـران وحـزب الله والنظـام الـسوري للجماعـات المـسلحة الـسنية كتنظيمـي القاعـدة وداعـش، وبينمـا كانـت الغالبيـة تـرفض الاسـتماع لاتهـام إيـران بالتعـاون واخـتراق القاعـدة قبـل عقـدين مـن الـزمن، تكـشفت الحقـائق الآن بـاعتراف قـادة القاعـدة عـن تقـاطع مـصالحهم مـع إيـران وعـن تلقّـيهم تـدريبات ودعمـا مـن إيـران لمواجهـة أمريكـا والأنظمـة الـسنية، ثـم كـشفت الثـورة الـسورية وواقـع الـسنة في العـراق كيـف خـدم داعـش المـشروع الإيرانـي الـشيعي بتحطـيم وتفتيـت الـصفّ الـسني، وتأليـب العـالم علـى الثـورة الـسورية وأهـل الـسنة جميعـاً، ثـم الـدخول في صـراعات سـنية سـنية، وكـثير مـن هـذا يـتم مـن خـلال اختراقـات إيرانيـة وسـورية لقيـادات داعـش الـذين أطلـق سـراحهم مـن سـجون المـالكي وبشار لهذا الغرض، ومـن ثـم تم زرع كـثير مـن ضـباط الاسـتخبارات العـراقيين والـسوريين في القيـادة لتمرير المخططات الإيرانية!

هـذه سـيرة مـوجزة لتـاريخ صـلة الحركـات الـسنية بالـشيعة وإيـران عـبر مئـة عـام تقريبـاً، وهـي تكـشف بوضـوح عـن سـعي الـسنة خلـف سـراب ووهْـم الوحـدة مـع الـشيعة، الـذين يـسعون نحـو تحقيـق مـشروع طـائفي شـيعي متمثـل باسـتغلال الحـالمين بالوحـدة وخـداع محـبي آل البيت وتوظيف المتحمسين لقتال الكفار.

وللأسـف نجحـت إيـران الملالـي في العبـور علـى ظهـور الحركـات الـسنية الحالمـة للطـرق الـصوفية وكـثير مـن العامـة والطلبـة وقواعـد الحركـات الإسـلامية وكوّنـوا بـؤر تـشيع في مجتمعـات سـنية لا وجـود للـشيعة فيهـا، ومـن ثـم تمكـن الحـرس الثـوري مـن إشـغال العـالم بالإرهـاب الـسني -الـذي يدعمـه ويموّلـه ويوجهـه- عـن عدوانـه وتمـدده في الـدول الـسنية، حتـى أعلـن متحـدثهم عن سيطرتهم على أربع عواصم عربية!

فهـل تـستيقظ الحركـات الـسنية مـن أحلامهـا

ويـستيقظ المتحمـسون علـى حقيقـة تلاعـب الـشيعة والملالـي بهـم، بعـد كـل هـذه الـدماء والجمـاجم والتـدمير والخـراب، أم أنهـم يحتـاجون للمزيـد مـن الكـوارث ليفيقوا؟!

علانية الطقوس الشيعية بمصر... بين الحلم والحقيقة

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

لم يعد ثمة شك في أن العلاقات المصرية - الإيرانية تشهد تقاربا شديدا هو الأقوى من نوعه منذ أكثر من ثلاثة عقود، فتصويت المندوب المصري في مجلس الأمن الدولي لصالح المشروع الروسي الخاص بحلب السورية فضلا عن الضغط الذي مارسته إيران على مجموعة الدول المشاركة في مؤتمر لوزان الذي يبحث نفس القضية وذلك من أجل حضور كل من مصر والعراق ومشاركتهما في فعاليات المؤتمر لدعم الموقفين الإيراني والسوري المتعارضين مع الموقف السعودي والأغلبية العربية يعدان نموذجين جليين يؤكدان مدى التقارب الحاصل في هذه العلاقات بغض النظر إن كان هذا التقارب يأتي على حساب العلاقات المصرية – الخليجية بشكل عام والعلاقات المصرية - السعودية بشكل خاص أم لا!

إذ يبدو أن جلّ اهتمام السياسة الخارجية المصرية والمنطلق الرئيس لأغلب تحركاتها هو توسيع دائرة علاقاتها الدبلوماسية مع أكبر عدد ممكن من الدول والقوى الدولية والعمل قدر الإمكان على إزالة التخوف الذي يستشعره النظام السياسي الحالي من أن يعاني من عزلة دولية أو حتى مجرد إبداء المجتمع الدولي تحفظه عليه نتيجة الموقف تجاه ما جرى في مصر في أعقاب أحداث الثلاثين من يونيو عام ٢٠١٣ ومن ثم فإنه لا يلتفت على الإطلاق إلى أن سياساته الخارجية يمكن أن تتناقض بعضها مع بعض، فالتركيز أولا وأخيرا على أن يحدث الانفتاح في السياسة الخارجية دون حتى التنبه إلى أن هذا التناقض ربما يفقده أو على أقل تقدير يضعف علاقته بأهم الذين دعموه ووقفوا إلى جانبه في أحلك لحظاته.

حالة من الترقب

وبطبيعة الحال فقد كان هذا التقارب كفيلا بأن يثير التخوفات والهواجس لدى الكثير من المعنيين بالملف الشيعي في مصر، إذ يدركون جيدا أنه وعلى الرغم من أن هذا التقارب ارتبط بتوافق في وجهتي نظر البلدين تجاه العديد من الملفات الإقليمية والدولية على المستوى السياسي فحسب إلا أنه بلا شك فإنه يمكن أن يكون له دلالاته وانعكاساته الخطيرة على واقع الشيعة في مصر وبعض الدول المجاورة إذ ليس لإيران أو لحلفائها في المنطقة أن يفوتوا مثل هذه الفرصة السانحة دون أن يستغلوها أفضل استغلال من أجل تطويعها لتنفيذ مخطط التمدد الشيعي، خاصة وأن هذا التقارب في حد ذاته يتواءم مع المعلوم من منهجية هذا المخطط الذي غالبا ما تكون أولى خطواته إحداث التعاطف السياسي ثم التعاطف العقائدي ومن ثم الاستقطاب العقائدي.

والناظر في الواقع المصري في الوقت الحالي يلحظ بوضوح شديد ذلك التعاطف السياسي لدى قطاعات كبيرة من مؤيدي النظام السياسي المصري مع المواقف الإيرانية خاصة تلك المتعلقة بدعم طهران المتواصل لبشار الأسد في مواجهته للثورة السورية وهو ما يدفع بعض هذه القطاعات إلى أن تنبري دفاعا عن طهران والتأكيد على الأهمية الإستراتيجية للتقارب معها وهو غير أنه في الوقت ذاته يمكن أن يمثل خطورة كبيرة على علاقات أخرى لا تقل أهميتها من الناحية الإستراتيجية بل ربما تزيد عليها وهي تلك العلاقات المصرية - الخليجية التي تتبنى وجهات نظر مغايرة لما عليه طهران تجاه العديد من الملفات الإقليمية والدولية.

في هذا السياق لا يمكن أن يجادل أحد في أن هذه المواقف السياسية ستنعكس بشكل كبير على قضية التشييع حيث توافر التربة الخصبة التي

(*) كاتب مصري.

يمكـــن أن يتحــرك خلالهــا الــداعون إلى التــشيع في حــركتهم ودعــوتهم، فمــن ناحيــة لم تعــد إيــران بعــد هــذا التقــارب ووفــق الــرأي الــسياسي الغالــب هــي تلـك الدولــة الــتي تتــسم علاقتهــا مــع مــصر بــالتوتر والقلــق وتبــادل الاتهامـــات بـــين نظاميهـــا الحـــاكمين فيمـــا أن هــذا التقــارب سيــسمح أيــضا للدولــة الإيرانيــة أو حتــى حلفائهــا وعــبر الوســائل الدبلوماســية بــأن تتواصــل مــع الحكومـــة المـــصرية لتخفيـــف مـــا يمكـــن أن تعتـــبره ضــغوطات يتعــرض لهــا الــشيعة المصريون وذلـك بــدعوى الحــق في ممارســة طقوســهم الخاصــة، الــتي بكــل تأكيــد ستنــسحب أيــضا علــى الحركــة والــدعوة علـى الآخرين والتي هي جزء أصيل من عقيدة الشيعي.

اقتناص الفرص

علــى الــرغم مــن وجــود فــارق كــبير بــين واقــع الــشيعة والــداعين للتــشيع قبــل ثــورة ينــاير ٢٠١١ وبــين واقعهــم بعــد ينــاير ٢٠١١ حيــث تمكــن الــشيعة مــن انتهــاز التــداعيات الــسياسية والأمنيــة الحاصــلة علــى إثــر الثــورة في الــتمكين لنــشاطهم والتكثيــف مــن دعــوتهم إلا أن ذلــك كلــه لم يكــن يحمــل مؤشــرات خطــيرة إذ كــان مــن الطبيعــي أن يــدرك الجميــع أن الأجــواء وقتئــذ فرصــة ســانحة لكــل تيــار فكــري أو سياســي أو مــذهبي بــأن يتحــرك بكامــل حريتــه دون أي عــائق قــانوني أو أمــني وهــو مــا سمــح لهــؤلاء بــأن يجهــروا بالعديــد مــن الطقــوس الــشيعية، في تحــد صــريح للمجتمــع المــصري الــسني فكــان أول ظهــور علــني لهــم خــلال احتفــال العــشرات مــن الــشيعة المــصريين بــذكرى عاشــوراء خــلال شــهر ديــسمبر ٢٠١١ بــساحة مــسجد الإمــام الحــسين بالقــاهرة حيــث نــصبوا «دي جــي» وقــاموا بتــشغيل «لطميــات» و«مــراثٍ» شــيعية كمــا رفعــوا لافتــات تحمــل شــعارات شــيعية، فيمــا تناولــت كلمــاتهم الثــورة المصرية وتــشابه مبادئهــا مــن الحريــة والوقــوف أمــام الظلــم والظــالمين ورفــض التبعيــة للأجــنبي مــع مبــادئ ثــورة كــربلاء في محاولــة للإيحــاء بــأن الثــورة المــصرية هـــي اســتلهام لثــورة الخميني.

ولم تختلــف كــثيرا احتفـــالات الـــشيعة في هـــذا اليــوم عمّــا يحــدث في كــل مــن إيــران والعــراق ولبنــان حيــث بــدأ توافــد الــشيعة علــى ســاحة الإمــام الحــسين منــذ الحاديــة عــشر صــباحاً، حــاملين الرايــات الــسوداء ثــم حــضر مجموعــة مــن الــشيعة علــى رأســهم محمــد الــدريني الــرئيس الــسابق للمجلــس الأعلــى لآل البيــت فوقفــوا لاســتقبال الــشيعة المتوافــدين علــى الــساحة وهــو مــا أثــار حفيظــة الكــثير مــن الــشباب الــسني الــذين قــاموا بــدورهم بالتواصــل مــع الــشرطة الــتي اضــطرت للتــدخل قبــل أن يتطــور الأمــر إلى حــدوث اشــتباكات بين الطرفين.

وبــالطبع فــإن بعــض القيــادات الــشيعية حاولــت أن تقفــز فــوق الــرفض المجتمعــي لمثــل هــذا الــسلوك وتعطــي انطباعــا بــأن رد الفعــل الأمــني دليــل علــى اســتمرار نظــام مبــارك، وهــو مــا ذهــب إليــه الطــاهر الهــاشمي الــذي حمّــل نظــام الــرئيس المخلــوع حــسني مبــارك مــسئولية مــا حــدث ومؤكــدا علــى أن المجتمــع المــصري لا يمــانع مــن الاحتفــال بــذكرى كــربلاء، مــدللا علــى ذلــك بــأن الــشيعة احتفلــوا علــى مــدار الأيــام الأولى مــن شــهر محــرم وقبيــل ذكــرى كــربلاء فأقــاموا مجــالس العــزاء بمختلــف محافظــات الجمهوريــة، وهــو نفــس مــا أشــار إليــه القيــادي الــشيعي المعــروف الــدكتور أحمــد راسم النفيس.

المحاولات المتكررة

لم يكـــن مـــا حـــدث في ديـــسمبر ٢٠١١م عنـــد مــسجد الحــسين رادعــا قويــا للــشيعة المــصريين، لــذا فهُــم لم يتوقفــوا أبــدا عــن تكــرار محــاولاتهم ذلــك أنــه وكمــا أشــرنا فــإن عقيــدة الــشيعي تفــرض عليــه أن يبــذل مــا في وســعه مــن أجــل بــث أفكــار ومبــادئ مذهبــه وهــو مــا أسمــاه الخمــيني بـــ «تــصدير الثــورة» الأمــر الــذي يفــسر إصــرار شــيعة مــصر علــى الاحتفــال بكــل مناســبة شــيعية رغــم أنهــم يعلمــون مــسبقا أنهــا ســتواجه بتــضييقات أمنيــة تحــسبا لأن تــستفز هــذه الاحتفــالات مــشاعر الأغلبيــة الــسنية الــتي فــضلا عــن أنهــا تــرى أن هــذه الاحتفــالات بدعيــة وبعيــدة كــل البعــد عــن الإســلام ولا تليــق بالمــسلمين فإنهــا تفــتح البــاب واســعا أمــام دولــة هــي إيــران لم يعــد يخفــى علــى أحد قبح الدور الذي تقوم به في المنطقة.

ولم يـــثنِ القـــرار الـــذي أصـــدرته وزارة الأوقـــاف

المصرية والقاضي بغلق مسجد الحسين بعد الصلوات بالتزامن مع يومي مولد الإمام الحسين وذكرى مقتله - رضي الله عنه - في كربلاء الشيعة المصريين ومعهم الشيعة العراقيون وغيرهم من المقيمين في مصر عن تكرار محاولة التجمع في المسجد وأمامه لإقامة طقوسهم وشعائرهم.

كما سعى الشيعة المصريون إلى الاحتفال بمناسبات أخرى، فوفق صحيفة الصباح المصرية قام الشيعة بالاحتفال بعيد الغدير خلال شهر أكتوبر من العام الماضي ٢٠١٥م – ١٨ ذي الحجة ١٤٣٦هـ - وذلك أمام مسجد الحصري في مدينة ٦ أكتوبر التابعة لمحافظة الجيزة.

وكشفت الصحيفة أن الاحتفال تم في خيام تجمع بها الشيعة المصريون والإيرانيون والعراقيون وقياداتهم حيث بدأ الشيخ هاني الموسومي الخميني الحديث عن عيد الغدير وفضله والتأكيد على أن صوم هذا العيد فرض على الشيعة.

وكشفت الصحيفة عن أنه بعد ذلك اصطف الرجال في الأمام بينما وقفت النساء في الخلف وأمام كل فرد تربة كربلاء ثم قام أحدهم برفع الأذان الشيعي ثم قاموا بأداء صلاة يوم عيد الغدير وهي عبارة عن ركعتين من قبل أن تزول الشمس بنصف ساعة ثم بدأوا في قراءة سورة الفاتحة وسورة ليلة القدر وآية الكرسي، كل منهم عشر مرات كون أن هذا يعادل مائة ألف حجة ومائة ألف عمره - حسب اعتقادهم- ليبدأوا بعد ذلك في الدعاء ثم لتتواصل بعد ذلك مراسم الاحتفال حتى أذان المغرب ليرفعوا الأذان بصيغته الشيعية أيضا ثم تناول طعام الإفطار.

وأضافت الصحيفة أنه بعد الإفطار بدأ الرجال والنساء المتشحات بالسواد يشغّلون الأغاني التي تعبر كلها عن مغزى واحد وهو أن علي بن أبي طالب ولي الله وأن الإمام المهدي سوف يأتي من الشيعة وأن الشيعة سوف تقوم على بيعته ثم بدأوا باللطم على وجوههم وصدورهم بينما تلطم النساء على وجوههن فقط ليقمن بعد ذلك بذبح الطيور حيث قام الحضور بوضع الدماء على جبين كل منهم وهم يرددون أن «عليًا ولي الله» ليؤدوا بعد ذلك ركعتين على تربة كربلاء ثم يقوموا بخلع الجلابيب السوداء وارتداء البيضاء حيث يضعون عليها دماء الطيور التي ذبحوها ثم يبدأون في إطعام المساكين ليتبعوا ذلك بأداء الحضرة.

أما النساء وعقب الانتهاء من اللطم على الوجه فقد قمن بجلب قطع من القماش الأبيض الملطخ بدماء الطيور وأخذن يمزقنه فيما تولت سيدات أخريات توزيع الطعام على المحتاجين بالشوارع «كنوع من الصدقات على روح على بن أبى طالب».

كما لم تقتصر محاولات شيعة مصر على الاحتفال بالمناسبات الدينية وفق تصورهم فحسب بل امتد الأمر ليشمل أيضا الاحتفال بأعياد إيرانية كعيد النيروز – عيد رأس السنة الفارسية- بما يؤكد مدى التبجح الذي وصل إليه هؤلاء، فللمرة الأولى في مصر وخلال شهر مارس من العام الجاري ٢٠١٦م أعلن الناشط الشيعي المصري فاروق الديب أنهم احتفلوا بعيد النيروز الذي بدأ مطلع شهر جمادى الآخرة، واستمر لمدة خمسة أيام.

وأوضح الديب أنه كان يتم قبل ذلك الاحتفال بعيد النيروز في البحرين وإيران والعراق والكويت ولبنان مضيفا أن الاحتفال به سيكون بالصلاة والتسبيح داخل مساجد آل البيت ثم التجمع في منازل القيادات الشيعية والتهليل وتقديم الهدايا وصوم الأيام الخمس وشراء أشياء لم يتم شراؤها من قبل لتوزيعها على الفقراء فضلا عن توزيع «بندانة» مكتوبًا عليها «علي ولى الله».

وفي مايو من العام الجاري أيضا تجرأ الشيعة المصريون وأدوا طقوسا شيعية بشكل علني ولأول مرة في مسجد السيدة زينب، حيث قام القيادي الشيعي ومنسق ائتلاف «خدام أحباب العترة المحمدية» عماد قنديل بقراءة دعاء «زيارة السيدة زينب» وهو أحد الأدعية التي يقوم الشيعة بقراءتها عند زيارة أهل البيت فيما قام بالتزامن بعض أعضاء «ائتلاف شباب الشيعة المصريين» بالانتشار

في المسجد وتوزيع الحلوى والعطور على المحتفلين وسط ترحيب البسطاء الذين شاركوا في ذكرى مولد السيدة زينب.

التحايل على الموقف

يعي متابعو الملف الشيعي في مصر أن الشيعة المصريين ينطلقون في تعاطيهم مع قضيتهم من خلال محورين أساسيين يتعلق الأول منهما بالترويج كذبا بأن أعدادهم تصل إلى عدة ملايين وأن أغلب أتباع الطرق الصوفية هم من أتباع آل البيت «الشيعة» وهو ما يعلم الشيعة قبل غيرهم أنه ادعاء غير صحيح إذ أن عددهم لا يتجاوز عدة آلاف على أقصى تقدير.

فيما يتعلق المحور الثاني بسعيهم إلى لفت أنظار المجتمع الدولي لهم من خلال محاولاتهم ممارسة طقوسهم بشكل علني في مساجد القاهرة القديمة مع علمهم بأنه سيتم منعهم ومن ثم فهم يسجلون موقفا بأنهم محرومون من معاملة الدولة لهم كأقلية وهو ما يمنحهم اهتماما دوليا وحقوقيا بمتابعة قضيتهم وتولي العديد من المنظمات الحقوقية الدفاع عنهم ومن ثم فلا مانع من أن يكرروا ومع كل مناسبة خاصة بهم الدعوة إلى التجمع والاحتشاد للاحتفال ثم تلبية هذه الدعوة فعلا، الأمر الذي ربما يعرض بعضهم للتوقيف الأمني وهو ما يكون أحيانا هدفا لديهم حتى يتم إثارته إعلاميا وكسب التعاطف محليا ودوليا.

ولقد اتبع الشيعة هذا النهج مع ذكرى كربلاء يوم العاشر من محرم الماضي ١٤٣٨هـ حيث قاموا قبيل ذكرى كربلاء ووفق ما أكد الباحث المصري المتخصص في الشأن الشيعي وليد إسماعيل بالاستعداد لتوزيع منشورات تحض على الكراهية استغلالاً لأيام محرم وعاشوراء مستهدفة منطقة الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة فيما ألمح علاء السعيد عضو ائتلاف الصحب والآل إلى أن هناك رصدًا دقيقًا لتحركات مجموعات من الشيعة التي تقطن في منطقة ٦ أكتوبر للتواجد في مساجد آل البيت في يوم عاشوراء لممارسة بعض الطقوس الشيعية من لطم الخدود والطبول وشق الجيوب.

وأضاف السعيد أن هؤلاء الشيعة الوافدين من العراق والمتواجدين في منطقة أكتوبر يريدون إثارة الفتنة والبلبلة وإشاعة الفوضى بين المسلمين بالتواجد أمام ضريح «الحسين» كما فعلوا العام الماضي وحدثت اشتباكات في منطقة «الحسين».

ويأتي ذلك ربما تحايلا على الخطة التي أعلنتها وزارة الأوقاف والتي أكدت أنها لن تسمح لأي طائفة مذهبية بممارسة طقوسها داخل مساجد آل البيت وعلى رأسهم الحسين أو السيدة زينب والسيدة نفيسة وخاصة طائفة الشيعة حيث تم التنبيه على جميع الأئمة بعدم السماح بأي احتفالات كما تم التنبيه على العمال في المساجد بضرورة توخي الحذر ومراقبة المترددين على المسجد الذين يقومون بأي طقوس أو أفعال غريبة مؤكدة التنسيق مع أجهزة الأمن في محيط مسجد الإمام الحسين تحسبا لتجمهر أي أفراد من الشيعة وعدم تمكينهم من إقامة أي احتفالات خاصة بهم.

وقد دفع هذا الموقف من قبل الناشطين السنة ووزارة الأوقاف إلى أن ينقل الشيعة احتفالاتهم بكربلاء من مسجد الحسين إلى بيوتهم وفق ما أكد الناشط الشيعي عماد قنديل الذي قال في تصريحات صحفية: «سنقيم احتفالات داخل المنازل بالعبادات والأدعية والتسابيح» فيما قال الشيعي الطاهر الهاشمي: «كل قلب ومنزل مصري هو مقام للإمام الحسين عليه السلام كما هو معروف حب المصريين لأهل البيت عليهم السلام وإذا أغلق باب الضريح فالقلوب مفتوحة على حب الحسين وستبقى كذلك».

غير أنه ومع نجاح المجموعات الناشطة في رصد ومتابعة التحركات الشيعية ومواجهة جهودها التي تستهدف ممارسة الطقوس الشيعية الغريبة علانية وفي أكبر مساجد القاهرة ومن ثم إجهاض مخططهم في انتزاع ذلك فإن هؤلاء لا يعدمون التحايل على الموقف عبر ممارسة نشاطهم في العديد من المناطق والمحافظات بعيدا عن أنظار ورقابة المتابعين الأمر الذي يمنحهم القدرة على استقطاب البعض مستغلين في ذلك إما العوز المالي أو الضعف

العلمي لأغلب هؤلاء، الأمر الذي يستلزم مضاعفة الجهد في متابعة أنشطة هؤلاء حتى لا نفاجأ بين يوم وليلة بأن أتباع هؤلاء وقد تحولوا إلى كتلة بشرية يمكن أن تشكل ضغطا حقيقيا ومن ثم تفرض نفسها وتعلن عن وجودها من خلال ممارسة طقوسها بشكل علني.

لماذا الأفكار والعقائد لا السلوك؟!
في نقد "النقد" الموجّه لتنظيم الدولة (داعش)

د. عصر بن محمد النصّر(*)– خاص بالراصد

عندما تصاعدت ممارسات تنظيم الدولة الإسلامية على الساحة الشامية قابلتها انتقادات كثيرة تتوافق وحجم تلك الأخطاء، إلا أن الملاحظ أن النقد توجه إلى الممارسات الظاهرة والسلوك دون المنطلقات والعقائد والأفكار، أي أن النظر انصب على الأعمال على اعتبار أنها أخطاء يمكن أن يعاد النظر فيها وينصح صاحبها دون معرفة ومعالجة المنطلقات المؤسسة لها، وعلى هذا جرى صنيع كثير من النخب، وقد أوجب ذلك أسباب متعددة؛ كالغفلة عن منطلقات ذلك السلوك وما وراءه من عقائد، وقد أدى هذا المسلك في التعامل إلى تعميق أزمة الجهاد الشامي حيث فقد الحل قيمته لبعده عن أصل الأزمة وجذرها، وفي جانب آخر تسبب تأخر الحل وتكييف الأزمة وفق أصولها وجذورها إلى تأثر كثير من الشباب بدعوة التنظيم، وهذا بدوره عمق أزمة الجهاد، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبح هذا السلوك والذي غفل عن منطلقات التنظيم وعقائده سببا في اضطراب الآراء كلما تجددت الأحداث المتعلقة بتنظيم الدولة، ومما ساعد في ذلك عدم القدرة على التمييز بين مكونات التنظيم الدينية والسياسية، وكذلك عدم القدرة على الوقوف على تفاصيل كل من المكونين، وبالتالي تعذر الحل وتأخر، وبيان ذلك أن المكون الديني لدى تنظيم الدولة متميز ومختلف عن غيره من المكونات الشرعية المنتشرة على الساحة العربية والإسلامية، فالتنظيم عبارة عن ظاهرة مركبة من جهة المكونات البشرية فيه والمعتقدات وأسباب الظهور، ويمكن أن نرجع أسباب الضعف في تقييم المكون الديني لدى التنظيم إلى عدم القدرة على التمييز بين المكون الديني والسياسي من جهة، حيث يمثل اجتماعهما وامتزاجهما إشكالا لدى الناظر في كثير من الأحيان، ومن جانب آخر عدم تميز المكون السني والبدعي، حيث مثل التدين أهم علة مؤثرة في نظر الناس إلى التنظيم، وقد خفيت معالم التدين السني لدى كثيرين نتيجة لضعف العلم من جهة وغياب الحدود الفاصلة بين الفرق وما يميز كلًا منها، وقد وجد في التاريخ أمثلة لهذا النوع من التدين وأثره على أصحابه في تطلب دول وممالك على نحو ما ذكر ابن خلدون –رحمه الله- في «مقدمته» حيث قال في وصف أحوال البربر في المغرب: «... وعادوا بعد ذلك للثورة مرة بعد أخرى، وعظم الإثخان من المسلمين فيهم، و لما استقر الدين عندهم عادوا إلى الثورة والخروج والأخذ بدين الخوارج مرات عديدة» (ص١٩٥)، فاجتمع في حالهم أمران: التدين البدعي وتطلب الدولة، ولم يكسبهم هذا شرعية دينية أو شرعية سياسية، وقد أحسن بعض الباحثين في تكييف دولة التنظيم بالدولة الظالمة المتغلبة، وإن كان –فيما يظهر لي- أشكل عليه الجمع بين المكونين الديني والسياسي، حيث أدرك بعض ما يميز إحدى المكونين دون الآخر، وغياب هذا الإدراك عن كثير من النخب فضلا عمن دونهم أوجب اضطرابا في الحكم، وقد ساعد فيما تقدم وصفه من ضعف التمييز، اضطراب النظرة إلى الأنظمة والموقف منها، حيث غلب التوصيف العلماني للأنظمة القائمة في المنطقة على عموم الباحثين الشرعيين، وحصل الخلاف من وراء ذلك في حكم الدار، وقد

(*) كاتب أردني.

تقرر أن هذه المسائل من أكثر المسائل تأثيرا على الساحة الفكرية، وهذا بدوره أضفى قدرا من المشروعية على تنظيم الدولة حيث رفع راية الدين وجعلها شعارا له، حتى أصبح قبلة يقصدها فئام من الشباب المتدين، وقد بلغ الأمر أن عَد بعض الشرعيين تنظم الدولة جزءاً من المشروع الإسلامي في مقابل الأنظمة القائمة؛ ولذلك يأتي السؤال المهم في هذا السياق، هل تنظيم الدولة امتداد للمشروع الإسلامي؟ وهل يمثل مشروعا سنياً؟

فلو اقتصرنا على تنظيم الدولة في العراق بعيدا عن تأريخ التيار الجهادي؛ لرأينا أن بقايا النظام العراقي السابق هم مادة التنظيم وأهم مكوناته وهذا بدوره أدخل عليه بعدا جديدا ظهرت آثاره في كثير من الممارسات والأفكار، بل تسبب في تطور نوعي للفكر الجهادي بعامة، وقد مثل التدين = والذي هو العنصر الأهم في تشكيل أي مشروع قائم في مواجهة المشاريع المنافسة الأخرى، سواء الغربية منها أو المشروع الإيراني، المادة الشرعية للتنظيم، وقد سبق هذا المكون مكونات أخرى في المنطقة كالمكون القومي وقبله الشيوعي حيث شكلا مادة المشاريع لبعض الحركات، وقد قدم التنظيم نزعة سنية لم تعرف عبر التأريخ من خلال التضييق على المكونات الدينية والأقليات في المجتمعات التي وجد فيها، وقد كان فيما مضى يمثل البعد السني مادة الحكم للأمة معتبرا كل المكونات، وفي المنظومة الفقهية لدى فقهاء الإسلام أحكام تختص في تكييف العلاقة بين هذه المكونات ونظام الحكم.

وعليه؛ فقد مثلت منطلقات تنظيم الدولة رافدا لكثير من الممارسات، فمنطلق الدولة من حيث هي دولة: كان سببا في عدم الاعتراف بالدول القائمة مما يعني عدم انحصار مشروعه في منطقة واحدة، وأن بقاءه يرتبط في بادئ النظر بقدرته على مقارعة كل الدول المحيطة وما وراءها، أو التخلي عن تلك الأدبيات والتصالح مع واقع تلك الدول، وهذا رأي مطروح في أروقة التنظيم وبعض المؤثرين في سيره، ومن آثار هذا المنطلق كذلك: عدم اعتبار القضاء الذي يتبع الفصائل أو حتى المستقل أو المشترك، ومن ذلك: مطالبة الفصائل بالطاعة وقتال المخالف وتنزيله منزلة المخالف للطاعة الواجبة.

وأما التدين البدعي، فقد أظهر التنظيم تدين الخوارج وهو الذي يتناسب وطبيعة التنظيم ومطالبه، كما تقدم وصفه من حال البربر وتطلبهم للدولة والملك، وقد كان سببا لكثير من الممارسات، من ذلك: الغلو في السلوك والذي ظهر بمظهر العنف في كثير من الأحيان حتى ظهرت على أيديهم فضائع لم تعهد من قبل كقطع رؤوس المخالفين والتمثيل بهم، وحرق الأحياء، واختلاق أنواع من طرق القتل التي لم يأت بها الشرع، ومن ذلك: عدم الالتزام بالمنظومة الفقهية للمذاهب الفقهية المتبوعة، ومن هنا يظهر لنا خطأ كثير من الباحثين في تبرير المسائل الفقهية ومحاولة نفي بعضها خوفا من نسبتها للتراث، غافلا والحالة هذه عن أن الإضافة للتراث لا تكون إلا باجتماع الحكم ومنهج الاستدلال، وهي خاصية المذاهب المتبوعة، والتي ترك التنظيم الانتماء إليها جملة، ومن ذلك: خفاء القدر المميز للهوية السياسية للتنظيم حيث جُعلت الأعمال كل الأعمال متكأً للوصول إلى الحكم، وجعله في نظر كثير من المراقبين محل تردد في القبول والرد، وهذا من أسباب امتناع كثير منهم عن إعلان موقف صريح تجاه التنظيم، ومن ذلك: نزع صفة الجهاد والشرعية عن المخالفين واستباحة ساحات الجهاد وأماكن تحيز ووجود الفصائل في ساحاته.

هذا ما تيسر إيراده في إجابة سؤال يتردد كثيرا في كيفية التعامل مع تنظيم الدولة وما يجري عليه أو له من الأحداث، وهل تعد مخالفته والتحذير منه تخذيلا وظلما أم لا.

التنظيمات الجهادية والثورات المضادة: فوضى في الداخل وتمكين للخارج ليبيا نموذجا

بوزيدي يحيى(*)– خاص بالراصد

انتهجت الانتفاضات الشعبية العربية في بداياتها خيار المظاهرات السلمية والاعتصامات في مواجهتها للأنظمة، واستطاعت في وقت قياسي إسقاط رؤساء عمّروا في مناصبهم عقودا طويلة، وكانوا يهيئون الظروف لتوريث أبنائهم، وهو نجاح فشلت في تحقيقه الكثير من التنظيمات الجهادية التي حاولت إسقاط الأنظمة بالقوة، ونجاحها اليتيم كان في اغتيال الرئيس المصري أنور السادات الذي خلفه نائبه حسني مبارك.

من هذا المنطلق ذهبت جل التوقعات إلى أن الانتفاضات الشعبية ستمتد انعكاساتها السلبية إلى التنظيمات الدينية المتطرفة التي سيقطع التغيير السلمي الطريق عن كل آلياتها في تعبئة وتجنيد الشباب العربي الطموح للتغيير. غير أن الثورات المضادة، وسياسات القوى الإقليمية والدولية، ولجوء المعارضة للعنف المسلح في بعض الدول؛ أعاد دفع التنظيمات الجهادية للساحة بديناميكية أكبر سهلت مهمة إجهاض مشاريع التغيير السلمية التي بشرت بها تلك الانتفاضات في مطلع ٢٠١١.

وبغضّ النظر عن الجدل حول طبيعة العلاقة بين التنظيمات الجهادية من جهة، والثورات المضادة والقوى الأجنبية من جهة أخرى، فإن الوقائع الميدانية تكشف عن تقاطع في المصالح ينعكس في تكامل الأدوار بينها بشكل مباشر أو غير مباشر. ومن الأمثلة التي تعكس هذا الواقع؛ ما يجري في ليبيا منذ سقوط نظام العقيد معمر القذافي، إذ لا خلاف على أن البلد كان كجارته تونس وغيرها من الدول العربية يسير في طريق الانتقال السلمي والسلس بعد

(*) كاتب جزائري.

إجراء الانتخابات الأولى في جويلية ٢٠١٢ للمؤتمر الوطني العام، ورغم وجود مستوى من العنف –الذي لجأت إليه القوى الثورية لإسقاط نظام العقيد- إلا أن احتواءه كان ممكنا خاصة مع اتجاه الكثير من القوى الجهادية والثورية السابقة نحو العمل السياسي مثل الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة بقيادة عبد الحكيم بلحاج، ولكن الانهيار الشامل والفوضى التي اجتاحت البلاد بدأت بعدما أقدم اللواء حفتر على حركة انقلابية عسكرية «عملية الكرامة» في ١٠ فبراير ٢٠١٤، ادعى أنها تهدف لمحاربة الإرهاب الذي ألصقه بكل معارضيه السياسيين. تأسيسا على هذا نطرح الإشكالية التالية:

- كيف ساهم تنظيم الدولة (داعش) بليبيا في دعم الثورة المضادة؟

المشهد الليبي بعد سقوط نظام القذافي

ظهرت عشية سقوط نظام القذافي مستويات متعددة من الصراع منها بين الثوار أنفسهم حول مستقبل البلاد، وأخرى على المستوى المحلي بين الثوار والموالين للقذافي، أو محايدين حاولوا «ركوب الثورة» والتموضع في النظام الجديد، وامتزج هذا بخلافات تعود إلى فترة النظام السابق بين القبائل وأخرى لأبعد من ذلك، وتزامن كل هذا مع ضعف المجلس الوطني الانتقالي الذي كان من الصعب عليه فرض سلطة الدولة على الخليط الواسع من المجالس العسكرية والجماعات المسلحة واستتباب الأمن في المناطق المضطربة لقدراته المحدودة[1].

إذ كان يقع على عاتقه ترتيب الأوضاع الأمنية، وفي الوقت نفسه تهيئة الظروف لبدء عملية سياسية طبيعية تتجاوز المرحلة الانتقالية، هاتان العمليتان المتداخلتان كان من الصعب تحقيقهما في ظل التباينات المناطقية والقبلية داخل المؤسسات السياسية

(١) لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: تقرير مجموعة الأزمات الدولية، نقف معا منقسمين: استمرار الصراعات في ليبيا، تقرير الشرق الأوسط رقم ١٣٠، ٢٠١٢/٠٩/١٤. وينظر أيضا: تقرير مجموعة الأزمات الدولية، المحافظة على وحدة ليبيا: التحديات الأمنية في حقبة ما بعد القذافي، تقرير الشرق الأوسط رقم ١١٥، ٢٠١١/١٢/١٤.

الوليدة، وما زال الصراع من هذه المنطلقات مستمرا، ناهيك عن الخلاف الأيديولوجي بين الإسلاميين والليبراليين.

في ظل هذه الظروف خرج تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا مستغلا تلك الفوضى والاضطرابات للتمدد في البلاد، وكان لافتا المجال الجغرافي الذي تحرك فيه التنظيم والقوى المحلية التي استند عليها لتثبيت سلطته، فضلا عن دور مختلف الأطراف في محاربته على أرض الواقع. كما تزايد الاهتمام الدولي بالأزمة الليبية وأصبح التدخل الخارجي أكثر حضورا سياسيا وعسكريا بحجة مكافحة الإرهاب الذي يخفي وراءه مصالح سياسية واستراتيجية للأطراف الأجنبية.

تنظيم الدولة في ليبيا وصراع القوى المحلية:

انطلق تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا من مدينة درنة التي سيطر عليها في ١٩ نوفمبر ٢٠١٤، حيث كثّف حضوره المادي والإعلامي بشكل ملحوظ منذ أن أعلن «مجلس شورى شباب الإسلام» في درنة مبايعته للجماعة قبل شهر من ذلك، ولاحقا اعترف زعيم تنظيم «الدولة الإسلامية» أبو بكر البغدادي بانضمام «أقاليم» برقة وطرابلس وفزان الليبية إلى «الخلافة» التي ينسبها إلى نفسه[١]. ثم بدأ في التوسع إلى أن وصل إلى مدينة سرت، ومنذ ذلك الحين ظل التنظيم يشن هجماتٍ متنوعة داخل ليبيا على غرار عملية فندق كورنثيا في طرابلس، والهجمات الانتحارية في مدينة القبة، والهجمات التي استهدفت سفارتي كوريا الجنوبية والمغرب في طرابلس، وإعدام ٢١ مسيحياً مصرياً، ثم ٣٠ شخصاً على الأقل يعتقد أنهم أثيوبيون مسيحيون مقيمون في ليبيا[٢].

وتنوعت الفوضى التي قام بها التنظيم؛ منها الإجرام الذي يرتكبه بنفسه في حق الليبيين من خلال محاولة فرض أيديولوجيته وتصوراته الدينية عليهم بالقوة، أو ما تسبب به نتيجة صراعه مع القوى الأخرى والتي تحاول القضاء على التنظيم، فهو يشكل أحد أطراف الصراع بين مختلف القوى السياسية في البلاد، ورغم الاتفاق على تصنيفه كخطر على الدولة الليبية واستقرارها السياسي إلا أن المعركة ضده لم تكن بعيدة عن حسابات هذه القوى، والتي تسعى لتوظيفه لترجيح ميزان القوى لصالحها بمختلف الوسائل، وهناك العديد من المؤشرات عن خدمة التنظيم لأجندة اللواء حفتر الذي يسعى من خلال الحرب على تنظيم الدولة إلى تبرير أنشطته العسكرية داخليا ضد خصومه السياسيين، وكسب التأييد الدولي، ودعم قواته بالسلاح.

حفتر والثورة المضادة

برز اللواء المتقاعد خليفة حفتر في الساحة الليبية خلال الثورة طامحًا للعب دور قيادي؛ حيث رأى في نفسه الأهلية والمقدرة على تولي قيادة جيش التحرير الوطني الليبي بدلا من «عبد الفتاح يونس» الذي اغتيل لاحقا، فسعى لتولي قيادة الأركان، بمساندة مجموعة من الضباط الذين أيدوا توليته في أكتوبر ٢٠١١، ولكن المجلس الانتقالي عيّن شخصا آخر بدلا منه، ثم أتت الضربة الأقوى بعد إقرار قانون العزل السياسي الذي قضى على آماله في تولي منصب سياسي[٣].

لم يستسلم حفتر للوضع أو يحاول تغييره سلميا، بل لجأ إلى أقصر الطرق موظفا القوة العسكرية فأعلن يوم ١٦ ماي ٢٠١٤؛ في سلوك لا يختلف عن سلوك النظامين المصري والسوري عن «عملية الكرامة» متهمًا بالإرهاب كل القوى المناوئة له، ففي بداية حركته الانقلابية لم يتوانَ على تصنيف كل القوى الإسلامية كحركات إرهابية، وبرر حربه على هذا الأساس، معاملا المتطرفين

---

(١) أندرو اينجل، توسُّع تنظيم «الدولة الإسلامية» في ليبيا، **معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى**، ٢٠١٥/٠٢/١١، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-islamic-states-expansion-in-libya

(٢) تنظيم الدولة في ليبيا.. النشأة وآفاق التوسع، برنامج الواقع العربي، الجزيرة نت، ٢٠١٥/٦/١٣، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/programs/arab-present-situation/2015/6/13/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B4%D8%A3%D8%A9-=
%D9%88%D8%A2%D9%81%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B3%D8%B9

(٣) محمود بيومي، الصراع في ليبيا بين الحسم والتوسع والاستنزاف، منتدى البدائل العربية، ٢٠١٤/٧/٤، ص ٢- ٣.

والإسلاميين السياسيين على حد سواء كإرهابيين[١].

ولاحقا أعاق حفتر جولات الحوار ورفض الحلول السياسية من طرف الجناح السياسي الداعم له والممثل في برلمان طبرق حيث راهن اللواء على القضاء على قوات مجلس شورى ثوار بنغازي والسيطرة على المدينة[٢]، ليصبح جيشه هو القوة الوحيدة في «برقة» وليعزز موقعه التفاوضي، لذلك لم يبدِ تفاعلا كبيرا مع عملية الحوار، لأن قبول التفاوض دون السيطرة على بنغازي ربما لن يحقق ما يصبو إليه من أهداف. وهو في الوقت ذاته في حاجة إلى عدم الابتعاد تماما عن مسار الحوار حتى لا يجد نفسه في مواجهة المجتمع الدولي والأطراف الغربية[٣].

استمد حفتر قوته بالتحالف مع بقايا النظام السابق والمناوئين للتيار الإسلامي من الثوار، فعلاقته بالموالين للقذافي ليست سرا، إذ أعلنت أوساط في قبائل ورشفانة وترهونة وورفلة وكذلك مدينة زليتن في الغرب الليبي دعمها الكامل لحفتر ومساندته. ومن المعروف أن الأوساط نفسها دعمت القذافي خلال الثورة، وأنها قامت بعد مقتله بعدة انتفاضات دعما لأنصاره وبقاياه، كما أعلنت الأجهزة الأمنية الليبية مثل قوات الصاعقة، وقوات الدفاع الجوي انضمامها إلى حفتر[٤].

وبعد عامين من الحرب الأهلية التي أفرزتها عملية الكرامة في بنغازي، يشهد معسكر حفتر انشقاقات بعدما أصيب حلفاؤه بخيبة أمل جراء إعادته الأجهزة الأمنية التابعة للنظام السابق لممارسة أنشطتها القمعية في المنطقة الشرقية وضلوعها في عمليات خطف واغتيال المدنيين[٥].

تنظيم الدولة والثورة المضادة

لا تنطلق الاتهامات للتنظيم بالتوظيف والدعم من طرف النظام السابق من فراغ، فهو اليوم جزء من المشروع الانقلابي لأنه يخدم نفس الأجندات العسكرية الانقلابية على ثورة ١٧ فبراير[٦]. ومن الحقائق الماثلة الدالة على ذلك؛ تمركز التنظيم في شرق البلاد وفي المناطق التي هي في نطاق نفوذ حفتر أو معقل النظام السابق والموالين له، ففي سرت، مسقط رأس معمر القذافي حيث لقي مصرعه في أكتوبر ٢٠١١، مدّ التنظيم يده إلى القبائل التي كانت موالية للنظام السابق ولديها تاريخ طويل من النزاع مع مصراتة[٧]. وتؤكد هذه العلاقة تصريحات أحمد قذاف الدم –أحد رموز نظام القذافي- التي أيد وأشاد فيه بالتنظيم ووصف شبابه بأنهم «أتقياء أنقياء».

وهناك من يفسر سلوك التنظيم في التحالف البراغماتي مع الموالين للنظام السابق بأنه مشابه لما فعله تنظيم «الدولة الإسلامية» في العراق الذي اعتمد

(١) أندرو اينجل، المرجع السابق.

(٢) انطلقت لاحقا عملية فجر ليبيا في ١٣ جويلية ٢٠١٤ للتصدي لمحاولات حفتر والمليشيات الموالية له للسيطرة على طرابلس. وتدريجيا تحول الانقسام السياسي إلى مواجهة مسلحة وشاملة مع نزوع الأحزاب والنواب في كلا الطرفين لتأييد وتبني كل من عملية الكرامة أو فجر ليبيا، انظر:
وحدة تحليل السياسات، أزمة الحوار الليبي في مسودة الاتفاق الخامسة، الدوحة: **المركز العربي للأبحاث وتحليل السياسات**، جويلية ٢٠١٥، ص ٠٢.

(٣) **مركز الجزيرة للدراسات**، الحوار الليبي: التحديات وفرص النجاح المحدودة، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٤/٠٢/١٢، ص ٠٤.

(٤) وحدة تحليل السياسات، ليبيا ومخاوف الانزلاق في طريق الاقتتال الأهلي الشامل، الدوحة: **المركز العربي للأبحاث وتحليل السياسات**، جوان ٢٠١٤، ص ٠٣.

(٥) هناك صلة وثيقة بين حفتر الذي عيّنه برلمان طبرق قائدًا عامًا (للقوات المسلحة الليبية) في فبراير ٢٠١٥ ورئيس البرلمان عقيلة صالح. وتضم قوات حفتر - عملية الكرامة العسكرية- أقلية من عسكريين سابقين وأغلبية من مسلحين قبليين من المنطقة الشرقية بايعوا حفتر مقابل وعوده لهم ببناء جيش وشرطة نظاميين تحت شعار (محاربة الإرهاب). لتفاصيل أكثر انظر: تموضع القوى السياسية والعسكرية في ليبيا ومستقبل الصراع، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٦/٠٨/٠٧، على الرابط:
http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2016/08/160804122651822.html

(٦) ليبيا.. تصدعات جبهة حفتر ومستقبل تنظيم الدولة، برنامج حديث الثورة، الجزيرة نت، ٢٠١٥/٠٦/١٩، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/programs/revolutionrhetoric/2015/6/19/%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D8%AA%D8%B5%D8%AF%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%AC%D8%A8%D9%87%D8%A9-%D8%AD%D9%81%D8%AA%D8%B1-%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9

(٧) كيفن كايسي، وستايسي بولارد، استراتيجية الدولة الإسلامية في ليبيا، **مركز كارنيجي**، ٢٠١٥/٠٣/٢٥، على الرابط:
http://carnegieendowment.org/sada/59491

على المسؤولين البعثيين السابقين، والأمر نفسه في ليبيا حيث استغل التنظيم السخط في جميع أنحاء معقل قبيلة «القذافة» في سرت، وقد يسعى أيضاً إلى اختراق المدن الجنوبية حيث تتواجد القبائل الموالية للقذافي[1]. وهذا السلوك في النهاية يصب في مصلحة الثورة المضادة إذ يصعب الاقتناع أن حلفاء التنظيم سيصبحون بين عشية وضحاها مؤمنين بأفكاره، ثم إن طبيعة العلاقة تستلزم تحقيق مطالبهم التي تخدم اللواء حفتر، الذي يشترك معهم في العداء للقوى الثورية الأخرى.

الخيط الناظم:

يتضح في المحصلة الأخيرة الخيط الناظم بين الأطراف الثلاثة (تنظيم الدولة– الموالين للقذافي-حفتر)، وما يرجح هذا التحليل طبيعة المعارك التي تجري في الساحة، فقد عمد تنظيم الدولة مراراً وتكراراً إلى مهاجمة القوات المصراتية في سرت والمناطق المحيطة بها، واستفزازها، وليس قوات ابراهيم الجضران الموالية لحفتر في الشرق[2].

واضطُرَّت قوات مصراتة إلى وقف القتال ضد تنظيم الدولة في سرت من أجل مواجهة قوات الكرامة التي جدّدت هجماتها على طرابلس في أواخر مارس ٢٠١٥[3]. وبذلك خسرت قوات فجر ليبيا التابعة لرئاسة الأركان المنبثقة عن المؤتمر الوطني العام وكتائب الثوار المساندة لها المعركة في سرت ومواقع عسكرية مهمة في محيطها لأنها كانت تخوض أكثر من معركة في أكثر من صعيد مع أكثر من جماعة، خاصة تلك التابعة للواء المتقاعد خليفة حفتر.

ومن المفارقات أن حفتر - الذي رفع شعار محاربة الإرهاب في المنطقة الشرقية- لم يُفلح في القضاء على تنظيم الدولة في بنغازي وحدها منذ انطلاق عملية الكرامة؛ فمَن أخرج التنظيم من درنة وضواحيها بشرقي ليبيا في ماي ٢٠١٦ هي قوات مجلس شورى مجاهدي درنة الذي تشكّل من كتائب مسلحة مناوئة لحفتر، ومن أخرج التنظيم من صبراتة بغربي ليبيا نهاية فبراير من العام نفسه هم ثوار مدينة صبراتة والمدن المجاورة لها، وهم لا علاقة لهم بحفتر، ومن هزم التنظيم في سرت بوسط ليبيا - أكبر معقل للتنظيم في شمال إفريقيا- هي قوات عملية البنيان المرصوص التي أطلقها المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني مطلع ماي ٢٠١٦، وتُشكّل قوات مصراتة الغالبية العظمى منها ومعها أيضًا تشكيلات عسكرية موالية لحكومة الغويل[4].

تمكين القوى الأجنبية:

أصبحت التنظيمات الجهادية مطية أيضا للقوى الأجنبية التي تبرر تدخلها العسكري الذي يخفي وراءه مصالح سياسية واقتصادية وغالبا ما يكون ذلك بالتنسيق مع قوى الثورة المضادة، وفي ليبيا تحججت القوى الغربية بمحاربة التنظيم لفرض حلول سياسية تتوافق مع رغباتها، من خلال فرض اتجاهات تخدم مصالحها السياسية، وإعاقة تمكين القوى المناهضة لها، وهذا ما يظهر في علاقتها مع اللواء حفتر وتنسيقه العسكري معها، فرغم إدانتها بشكل صريح «اعتداءات حفتر في بنغازي» في بيان لها في ديسمبر ٢٠١٤[5]، لكن لم يترتب عن ذلك اتخاذ مواقف حاسمة ضده، بل على العكس استمر التعاون والتنسيق بين الطرفين خاصة في المجال العسكري. فقد نشر موقع ميدل إيستآي، في الثامن من جويلية ٢٠١٦، تسجيلات تثبت وجود قوات أميركية[6] وبريطانية وفرنسية في قاعدة بنينا الجوية التابعة لحفتر جنوب شرق بنغازي، وهو ما أكّده العميد صقر الجروشي، قائد القوات الجوية بعملية

---

(١) **أندرو اينجل**، المرجع السابق.

(٢) **كيفن كايسي**، المرجع السابق.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) **تموضع القوى السياسية والعسكرية في ليبيا ومستقبل الصراع**، المرجع السابق.

(٥) **مركز الجزيرة للدراسات**، الحوار الليبي: التحديات وفرص النجاح المحدودة، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٤/٠٢/١٢، ص ٠٤.

(٦) يوجد فريقان من القوات الأمريكية الخاصة، بمعدل خمسة وعشرين جنديا لكل فريق، يتمركزان منذ أواخر ٢٠١٥ حول مدينتي مصراتة وبنغازي في محاولة لتحديد الحلفاء المحتملين ضمن الفصائل الليبية المسلحة في أي حرب قادمة على «داعش» فضلا عن جمع معلومات استخباراتية. انظر: وحدة تحليل السياسات، هل بات التدخل الأمريكي الأوروبي وشيكا في ليبيا؟، الدوحة: **المركز العربي للأبحاث وتحليل السياسات**، جوان ٢٠١٦، ص ٠٣

الكرامة، بعد أيام.

ويبدو أن التدخل الغربي يهدف إلى ترجيح كفة حفتر في صراعه ضد مناوئيه بعد إخفاقه على مدى عامين في إحكام السيطرة على بنغازي. ويرجِّح مراقبون أن مساندة الغرب حفتر تهدف إلى السيطرة على منطقة الهلال النفطي على ساحل برقة بوسط ليبيا ومنع وصول مناوئيه إليها، وهذا يدل على أن قضية إنهاء الصراع وتحقيق الاستقرار في ليبيا لا تعني الغرب بقدر ما تعنيه السيطرة على ثرواتها النفطية[1].

كما اعترف الرئيس الفرنسي، فرانسوا أولاند، بمقتل ثلاثة من القوات الفرنسية إثر تحطم مروحية أسقطتها سرايا الدفاع عن بنغازي منتصف جويلية ٢٠١٦. وطالب المجلسُ الرئاسي لحكومة الوفاق - تحت ضغط شعبي- فرنسا بتوضيح أسباب وملابسات الوجود الفرنسي على الأراضي الليبية. لكن صمت مجلس النواب في طبرق يُرجِّح علمه بهذا التدخل وغض الطرف عنه.

ومن جانب آخر، فالتدخل يكشف ازدواجيةً في مواقفِ فرنسا تجاه القضية الليبية، فهي وإن أعلنت دعمَها لحكومة الوفاقِ الوطني، لا تجد حرجًا في مدِّ يد العونِ لطرف في الصراع لا يعترف بهذه الحكومة[2]. ما يكشف حقيقة الأهداف الفرنسية التي عبّر عنها مسؤول بوزارة الدفاع الفرنسية بقوله: «إذا تمكنا من تشكيل حكومة الوحدة الوطنية فلن يكون هناك جيش ليبي كما نريده أن يكون»[3].

ووجود هذه القوات في معسكرات تابعة للواء حفتر يعني أن القوى الأجنبية اختارت من البداية حلفاءها والذين تضمن تبعيتهم طواعية لها، وتبقى المهمة في البحث عن قوى تسير في الاتجاه نفسه وتمكينها، وإضعاف القوى الأخرى المعارضة بعد تحديد بنك العمليات خلال الفترة السابقة، والحجّة هي محاربة تنظيم الدولة الإسلامية. والتنسيق بين حلفائها ليس محصورا في الإطار الداخلي بل يتعداه للإطار الإقليمي، وهذا ما يكشف عنه التعاون بين نظام السيسي وحفتر ما يؤكد تمثيل الأخير للثورة المضادة. فلم يعد خفيًّا دور مصر التي تراهن على قدرة القوات التي يقودها حفتر على حسم الصراع عسكريا في مواجهة الجماعات المسلحة الأخرى، وخصوصا قوات فجر ليبيا التابعة للحكومة الموجودة في طرابلس[4].

لذلك تعمل مصر على تقوية شوكة عملية الكرامة كي تكون حائط صدٍ بين نظام السيسي وثورة السابع عشر من فبراير التي تمثّل بدورها التهديد الأكبر لنظامه وراء حدود مصر الغربية. وكذلك كي يكون هذا الحائط فاصلًا بين المعارضة المصرية في الداخل ومثيلاتها في ليبيا، فضلًا عن إزاحة خطر تمدد تنظيم الدولة بعيدًا عن الحدود المصرية من خلال نظام يتصدى له بالوكالة.

ولهذا يهدف مشروع السيسي إلى تدمير حركات الإسلام السياسي الثورية المناوئة لحفتر، وفرض معسكر الأخير على حكومة الوفاق الوطني كجزء من الحل للأزمة الليبية. وهذا يبرز تناقضًا في الدور المصري تجاه حكومة الوفاق، فالخارجية المصرية من جانب أيَّدت رسميًّا حكومة الوفاق وترعى ما قالت: إنها سلسلة لقاءات لتقريب وجهات النظر بين حكومة الوفاق والمعسكر الشرقي، لكن الأجهزة الأمنية المصرية من جانب آخر تدعم حفتر في حربه ضد مناوئيه[5].

الخلاصة:

تتقاطع مصالح خليفة حفتر إلى حد التطابق مع تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا ما يدل على مستويات من التعاون بين الطرفين تشكل القوى المؤيدة للنظام السابق حلقة الربط فيه، ومن خلال شعار محاربة تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا نجح حفتر في إشغال

(١) تموضع القوى السياسية والعسكرية في ليبيا ومستقبل الصراع، المرجع السابق.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) الدولة الإسلامية تواجه صعوبات في كسب التأييد في ليبيا، رويترز، ٢٠١٦/٠٤/١٣، على الرابط:
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN0XA21Y

(٤) **شحاتة عوض**، الدور المصري في ليبيا: الخيارات والمخاطر، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٥/٠٣/٠٨، ص ٠٥

(٥) **تموضع القوى السياسية والعسكرية في ليبيا ومستقبل الصراع**، المرجع السابق.

القوى الثورية بمحاربته، واستغل ذلك لتوسيع نطاق سيطرته خاصة على المناطق النفطية، وإن كان الحظر على تسليح الجيش الذي يطالب به ما زال مستمرا إلا أن التعاون العسكري بينه وبين القوى الأجنبية والضربات الجوية التي يقوم بها الجيش المصري، نماذج عن تعاون وتنسيق أمني على أعلى المستويات، الذي يظهر تطابق الأجندات السياسية لهذه الأطراف مجتمعة.

ولا يمكن التأسيس على المواقف المعارضة لسياسات حفتر من حين لآخر للحديث عن اختلاف أجندات، لأن العبرة بأفعال كل هذه الأطراف خلال هذه السنوات من عمر الأزمة الليبية، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن القوى الأجنبية أظهرت بعض الاعتراض على ما قام به السيسي خلال انقلابه وكثيرا ما تصدر تصريحات وبيانات تنعى الوضع الكارثي لحقوق الإنسان، لكنها سرعان ما اعترفت به بعد إجراء انتخابات شكلية، ولم يختلف سلوكها مع حفتر كثيرا، فرغم تأنيبها العلني له، وعدم دعمه عسكريا بما يطلق من أسلحة إلا أن قواعده هي التي تحتضن القوات الفرنسية والأمريكية وغيرها في ليبيا.

وتبقى حجة دائمة لدى هؤلاء في محاربة الإرهاب الذي يمثله تنظيم الدولة الإسلامية، غير أن طبيعة المعارك الدائرة لا تدع مجال للشك في استخدام هذا الشعار في كل الدول العربية والتي لا تعدو ليبيا إلا أن تكون نموذجا مصغرا عنها في محاربة كل القوى المناوئة للمصالح الأجنبية والمعبرة عن رغبات شعوبها، لا عن مصالح ضيقة لفئات محددة تمثلها الثورات المضادة المستعدة لرهن مصالح بلدانها لقوى خارجية من أجل تحقيق ما تريده داخليا حتى إن كلفها ذلك دماء شعوبها تحت غطاء مكافحة الإرهاب.

زيارة إمام الحرم المكي د. خالد الغامدي للسودان... الأبعاد والتأثير:

د. محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

أثارت الزيارة الأخيرة لإمام الحرم المكي الشريف للسودان د. خالد الغامدي جدلا واسعا واستقطابا حادا في أوساط المجتمع السوداني وألوان الطيف الدعوي، رغم الترحيب الكبير من المجتمع السوداني والاستقبال الحاشد لضيف البلاد منذ وصوله مطار الخرطوم الدولي، لكن بعض الجهات الصوفية في السودان تحفظت على الزيارة، سيما أنها زيارة رسمية، من جهة رسمية حكومية هي المجلس الأعلى للدعوة والإرشاد بولاية الخرطوم، في حين يرى الصوفية أن الدولة السودانية تعاملت بجفاء وبرود مع زيارة الشيخ علي الجفري الذي زار البلاد بدعوة من المجمع الصوفي العام.

وقد تمت دعوة الدكتور الغامدي لزيارة السودان عقب انتهاء موسم حج ١٤٣٧هـ، بعد لقاء جمع رئيس المجلس الأعلىللدعوة الشيخ جابر إدريس عويشة، والشيخ الغامدي، والذي رحب بزيارة السودان وتم تحديد موعد الزيارة وبرامجها المتعددة التي شملت الندوات والمحاضرات والزيارات للجماعات والجامعات الإسلامية ورموز المجتمع السوداني، بجانب مبادرة إمام الحرم للصلح القبلي بين قبيلتي المعاليا والرزيقات في ولاية شرق دارفور بغرب السودان وغيرها.

محطات في زيارة د. خالد الغامدي للسودان:

تمثل زيارة الشيخ الدكتور خالد الغامدي إمام الحرم المكي للسودان بحسب مراقبين مفتاحاً جديداً في التعاون بين المملكة العربية السعودية والسودان في شؤون الدعوة والإرشاد، وستسهم في مد جسور التواصل مع صنوف أهل الدعوة بالبلاد كافة، بعد أن ارتفعت العلاقة السياسية بين البلدين لعلاقة

(*) كاتب سوداني.

استراتيجية.

استهل الشيخ الغامدي زيارته للسودان بصلاة الجمعة في مسجد مجمع النور بضاحية كافوري بالخرطوم بحري،وركز في خطبته حول توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم وحرمة دمائهم، وشدَّد على ضرورة وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها حتى تستطيع مواجهة التحديات والابتلاءات التي تتعرض لها، ودعا إلى ضرورة نبذ التعصب المذهبي والطائفي واختلاف الآراء، محذراً من اتخاذ التعصب مدخلاً من قبل «شياطين الإنس والجن» لتمزيق الأمة الإسلامية ودمغها بالتطرف والإرهاب.

وقدم د. الغامدي أيضا محاضرة نوعية للائمة والدعاة بقاعة الصداقة الخرطوم بعنوان (محكمات الشريعة الإسلامية وأثرها في درء الفتن)،وشمل برنامج الزيارة محاضرات عديدة في عدد من الجامعات مثل جامعة أم درمان الإسلامية وجامعة إفريقيا العالمية، وغيرها، ومحاضرة بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، وزيارات عديدة منها زيارة مسيد الشيخ الكباشي بالخرطوم بحري، وزيارة مسيد الشيخ الصايم ديمه بأم درمان، وزيارة مدينة الضعين عاصمة ولاية شرق دارفور للصلح بين قبيلتي المعاليا والرزيقات هناك.

ملامح عن المجلس الأعلى للدعوة والإرشاد بولاية الخرطوم.. صاحب الدعوة:

المجلس الأعلي للدعوة والإرشاد بولاية الخرطوم هو الجهة الرسمية التي وجهت الدعوة لإمام الحرم لزيارة السودان،وهو جهاز رسمي يتبع لحكومة ولاية الخرطوم، تأسس سنة ٢٠٠٢م، ويقوم بالإشراف والمتابعة للعمل الدعوي بالولاية ويسعى لضمان تفاعل المجتمع مع الدعوة، كما يقوم المجلس نفسه بالإشراف المباشر على خدمات الحج والعمرة بالولاية.

لم تكن العلاقة بين مجلس الدعوة وبعض المؤسسات الصوفية على مايرام؛ وقد هاجم الأمين العام لجمعية الإمام الأشعري العلمية صلاح الدين البدوي الخنجر مجلس الدعوة في بعض مقالاته واتهم الخنجر رئيس المجلس جابر عويشة بأنه يتحدث باللسان الوهابي تصريحاً أو تعريضاً، وقال إن مؤسسات الدولة في السودان قد أصبحت تنفذ أجندة الوهابية.

وقال إن مقترح عويشة العمل المشترك بين الصوفية والوهابية يخصّ من تفوه به، وهو مجلس الدعوة، وقال: «ولسنا في حاجة إلى عمل يجمعنا بهؤلاء الدخلاء على المجتمع السوداني وأصحاب الأفكار المتطرفة»، وأضاف: «الذي يسعى لجمع الوهابية مع الصوفية من غير دراسة ورؤية كأنه يسعى للحرب الطائفية وإيقاظ الفتنة القائمة فما بين الفريقين بون شاسع»، وقال: «أهل التصوف لا يجتمعون مع الوهابية حتى في فناء المساجد لأداء أعظم شعيرة وهي الصلاة»! وهذا تكريس للفرقة في صفوف الأمة الإسلامية والمجتمع السوداني المسلم.

الصوفية السودانية وزيارة إمام الحرم.. بين الهجوم والترحيب:

من الواضح أن التصوف في السودان لا يجمعه شيء، وطابعه الدائم هو الطرقية المتعددة، حتى بات في البيت الواحد عدة طرق، ولكن برزت في الآونة الأخيرة عدد من اللافتات تدعي تمثيل الصوفية في السودان، وتنتسب إحدى الجمعيات الصوفية والتي أعلنت عدم ترحيبها بزيارة الشيخ الغامدي للسودان وهي جمعية الإمام الأشعري العلمية تحت واحدة من هذه اللافتات وهي «المجمع الصوفي العام» الذي يجمع عددا من الطرق الصوفية، ويسعى ليكون كيانا جامعا للصوفية بالسودان، ويعمل من خلال الروابط العلمية، ليكون كيانا جامع لأهل التصوف، وله أنشطة داخلية وخارجية آخرها مشاركته في مؤتمر غروزني، وعلى المستوى الداخلي له مناشط دعوية داخل الجامعات وعدد من الكليات بالولايات، وقد استضاف عدداً من رموز الصوفية من داخل وخارج السودان منهم الشيخ علي الجفري.

لكن من المؤكد أن هناك خلافات عميقة بين رموز التيار الصوفي حول من يمثل الصوفية بالسودان، حيث ينشط المجلس الأعلي للتصوف في ذات النطاق، ورابطة علماء التصوف،والمجلس الأعلى للتصوف والاتحاد العام للشباب الصوفي، وغيرها من الواجهات التي يدعي كل منها تمثيل التصوف والطرق الصوفية

في السودان.

ومن أبرز الناشطين سيما على المستوى الإعلامي في هذه الجمعية د. صلاحالدينالبدويالخنجر، ويشغل منصب الأمين العام لجمعية الإمام الأشعري العلمية، وينتمي للطريقة القادرية، وهو الذي صدر باسمه بيان جمعية الإمام الأشعري ضد زيارة إمام الحرم، أما رئيسها فهو السماني سعد الدين السماني، والأمين العام لجمعية الإمام الأشعري العلمية هو فتح الرحمن (أبو الحسن)، ويقال إن بعض القائمين عليها من كبار طلبة الشيخ مصطفى عبد القادر رحمه الله، وهم زملاء درس كذلك عند الشيخ ومجازون بالطريقة الختمية، كما ظهرت جمعيات أخرى تعمل في الإطار نفسه دعما للتصوف ومناشطه، منها جمعية الإمام الصرصري وجمعية الإمام الغزالي وغيرها.

أبرز مظاهر التعامل الإعلامي الصوفي السالب مع زيارة إمام الحرم هو بيان الدكتورالخنجر، حيث اعتبر البيان إمامَ الحرم من دعاة التطرف والإرهاب!! واعتبر أن الزيارة تماثل نشاط الشيعة في السودان لكن لترويج الوهابية!!

ووصف البيان مشاركة بعض مشايخ الطرق وأهل التصوف في السودان في برامج الوهابية بما في ذلك أئمة الحرم بتوجيهات من النظام الحاكم وأجهزته بأنها تعتبر خيانة لإرث الآباء والأجداد، وقال البيان: «اعلموا أن أهل السياسة يستدرجونكم إلى السقوط في مهاوي الردى والهلاك، وهم الذين امتنعوا عن المشاركة في برامج الحبيب الجفري وحرَموكم من أداء الصلاة فى مجمع النور الذي يفتح للوهابية ليل نهار».

وقال البيان إن العلاقات العامة يجب ألا تكون على حساب المنهج كما أن شيخ الطريقة يعتبر رمزا للعقيدة الأشعرية والمذاهب الفقهية وكل الطرق الصوفية، مشيرا إلى أن الذي له علاقة خاصة بالوهابية يجب ألا يفرضها على المريدين والأحباب لأجل خاطر السياسيين، كما قال البيان إن الخلاف بين الصوفية والوهابية خلاف عقدي في المقام الأول ويحتاج إلى مراجعات فكرية.

ويعتبر بيان جمعية الإمام الأشعري من أبرز مظاهر الإعلام الصوفي ضمن صراع الصوفية والأشعرية ضد السلفية في السودان، رغم أن جمعية الإمام الأشعري لا تمثل إلا فئة محدودة من الصوفية، وهي الفئة التي تتبنى خطابا تحريضيا ضد السلفية، ويرى مراقبون أن بيان الجمعية امتلأ بعدد ضخم من المغالطات والافتراءات المتكررة، من قبيل تكفير جميع المخالفين إلا من كان على طريقتهم، وإسقاط حديث الفتن من قبل المشرق على الدعوة السلفية التي أحياها الإمام محمد بن عبد الوهاب، والاتهام بالإقصاء لجميع المخالفين، وسوء العلاقة مع جميع الجماعات والتيارات الإسلامية، والادعاء بأن دعوة الشيخ محمد رحمه الله تقف سدا منيعا دون تقدم الأمة وازدهارها، والزعم بأن السلفيين يكَفُّرُون بالتمذهب والتصوف والأشعرية ويكَفِّرون أصحابهم، والربط بين «الوهابية» وداعش، وهي مغالطات معروفة بعيدة عن الواقع.

وعلى الجانب الآخر رحبت قطاعات واسعة من الصوفية بالسودان بالزيارةواستضافت بعض مناشطها مثل مسيد الشيخ الكباشي ومسيد الشيخ الصايم ديمة وغيرها. وهو ما يثير استغرابا حول وجه استنكار مثل هذه الصلات والأهدافوسعي بعض لافتات المتصوفة لزرع الشقاق بين الجماعات الإسلامية وإحياء العصبيات المذمومة، بدلا من البحث عن مساحات التوافق للعمل على تنميتها والإفادة منها لصالح الإسلام والمسلمين.

زيارة إمام الحرم لمسيد الشيخ الكباشي بالخرطوم بحري:

أبرز محطات زيارة إمام وخطيب الحرم المكي الشيخ خالد الغامدي للسودان، والتي أثارت جدلا واسعا هي زيارته لمسيد الشيخ إبراهيم الكباشي بالخرطوم بحري، وشارك بالزيارة مختلف ألوان الطيف الديني وحضور جماعة أنصار السنة المحمدية، بقيادة رئيسها د. إسماعيل عثمان الماحي، وقد أثارت هذه الزيارة ردود أفعال كبيرة، ووصف احتفال الكباشي بإمام الحرم المكي بأنه مثل إجماعاً غير مسبوق بين أهل القبلة جميعاً، وهو إجماع محمود ومطلوب لتتوحد جميع الفئات التي تظلها مظلة (أهل السنة) لمواجهة المد الشيعي المتحالف مع الكيان الصهيوني الذي يسعى لاستئصال شأفة الإسلام

وأهله.

واعتبر د. الغامدي أن ما حدث في الكباشي مبادرة للأمة كلها، تدعوها إلى التوحد لمواجهة أعدائها، وقد رأى كثير من الصوفيةالسودانيين أن هذه الزيارة مهمة جداً ومطلوبة، وعلى الجانب الآخر لدى السلفيين السودانيين يرى الشيخ الأمين الحاج محمد أحمد، رئيس الرابطة الشرعية للعلماء والدعاة، إنه -من ناحية المبدأ- لا غضاضة في تعاون الناس في أمر الدعوة، على أن لا يكون ذلك التعاون بتنازلات عن الثوابت.

وفي بيان لجماعة أنصار السنة المحمدية حول زيارة إمام الحرم المكي لقرية الكباشي وتداعياتها، قالت الجماعة إن الذهاب لأي شخص لدعوته وتبليغ الدعوة إليه أمر لا غضاضة فيه شرعا. وإمام الحرم جاء إلى السودان للدعوة وليس في زيارة ترفيهية أو تشريفية.

وقال البيان إن اللقاء الذي كان في الكباشي لم يكن للصوفية وحدهم، مع أنه لو كان لهم وحدهم فلا غضاضة في الذهاب إليهم، وإنما كان البرنامج ملتقى لأهل القبلة، لقيادات أنصار السنة، والحركة الإسلامية وغيرهم هدفه تفويت الفرصة على أعداء الأمة من الرافضة وغيرهم الذين يريدون إحداث فتن داخلية في مجتمعات أهل السنة، واستخدام التصوف لتحقيق أهدافهم الداخلية، فلا بد من تفويت الفرصة على أعدائنا في هذه المرحلة.

ورأى البيان أن هذا البرنامج هو برنامج بين دولتين، ومبارك من حكومة البلد ينولهم تقديرهم بمصالحه، ولم تكن هناك مخالفات شرعية في استقبال إمام الحرم بالكباشي، حيث رفضنا استقباله بالنوبة أو دق النحاس أو أي مظهر من المظاهر الصوفية، ولم نذهب إلى ضريح أو قبة وإنما ذهبنا إلى صالون ضيافة القرية، ولا يوجد بجواره أي مظاهر شركية.

ولفت البيان إلى أن الذي تمخض من ملتقى أهل القبلة التأكيد على مرجعية بلاد الحرمين وعلمائها لقيادة الأمة وأنهم أهل الرفادة والسيادة، لا ينازعهم في ذلك إلا ظالم، وهذا ما قالته الصوفية في كلمتهم، والتأكيد على اجتماع كلمة الأمة على الكتاب والسنة، والتأسي بالنبى المصطفى في كل أقوالنا وأفعالنا، والتأكيد على منهج الإسلام الحق واتخاذه مرجعية لحل كل خلافاتنا، هذا ما أكده إمام الحرم في كلمة قوية صادقة معبرة، في مجلس حضرَه كل قادة المتصوفة والجماعات الإسلامية إلا مجموعة محددة رفضت الملتقى، واعتبرت الكباشى انحرف عن منهج المتصوفة، كان هدفهم مقاطعة جميع المتصوفة لهذه الزيارة، وعدم استقباله أو فتح المجال له لمخاطبة الصوفية، وقد حطمت هذه الزيارة كل أهداف هؤلاء من خلال تلك الاستقبالات الحاشدة لإمام الحرم في أحد أكبر تجمع للصوفية.

وأكد بيان جماعة أنصار السنة أن هذه الزيارة حققت مصالح متعددة، وسوف تكشف الأيام القادمة عن ثمارها، والأمة اليوم تمر بمراحل صعبة، من عدو شرس يريد اقتلاع أهل السنة من جذورهم، فلابد من العمل بوعى كبير للمحافظة على مكتسبات الأمة وصد المؤامرات التي تحاك ضدها، وشكر البيان مسيد وقرية الكباشى على حسن استقبالهم وحسن استماعهم، وما أكدوه في كلمتهم في معان نحن في حاجة للتأكيد عليها لمصلحة الدين والوطن نرجو الاستماع إليها، ومن لم يقتنع بما قلنا وبيّنا فليعتبره من حلف الفضول الذي قال فيه النبي عليه السلام: (لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت).

ووصف أحد مرافقي د. الغامدي زيارة مسيد الشيخ الكباشي أنها كانت مؤتمر الأهل القبلة حضره قادة الدعوة في السودان من أنصار السنة وغيرهم، بموافقة السفارة السعودية وتأييد الحكومة السودانية، تحدث فيه الشيخ الغامدي عن التوحيد وضروة البعد عن المخالفات الشرعية ثم تكلم عن جهود المملكة في جمع المسلمين ورعاية الحرمين الشريفين وأن المملكة مركز قوة المسلمين وتآلفهم ووحدتهم، ثم ذهبنا، ولم يحدث شيء من المنكرات أبدا ولا شيء من بدع الصوفية ومن قال غير ذلك فقد كذب. وأن الزيارة أفلحت في كسر شوكة الغلاة من الصوفية في السودان مثل أتباع جمعية الأشعري وغيرهم.

زيارة إمام الحرم.. حتمية التواصل بين المسلمين في المشتركات:

يلاحظ أن زيارة الشيخ الغامدي للسودان، ولمسيد الشيخ الكباشي تحديدا أسهمت بقدر كبير في تقريب وجهات النظر والعلائق بين التيار الصوفيوالسلفيين في السودان رغم تحفظ فئة محدودة، ويرى د. عثمان الكباشي أن الزيارة أكدت أن هناك وعيا استراتيجيا في طبيعة الشخصية السودانية تجعلها تتجاوز دون أن تلقي الخلافات إلى ما هو مهم، والسودانيون كرماء، وإمام الحرم مقامهم قام كبير بحكم أنه يؤم المسلمين في كعبتهم وفي قبلتهم، مشيرا إلى أن هذه السماحة والطيبة والاعتدال والرؤية العميقة تؤهل المسلمين في السودان أن يكون لديهم دور كبير في ما يدور من أزمات وتحديات تواجه المسلمين في العالم الإسلامي كله.

وقال د. عثمان البشير الكباشي وهو وزير سابق للإرشاد بولاية الخرطوم إن السودان هو أقرب بلاد الله الى الحجاز، وزيارة الشيخ الغامدي للسودان هي زيارة للفج الأدنى للحرمين الشريفين، بجانب أن العلائق التاريخية بين البلدين كبيرة ولولا البحر لكانت الخرطوم أقرب مدينة، وما تزال بالطائرة هي أقرب حتى لمدن داخل المملكة نفسها.

وقال الكباشي إن قيادة الحرمين رأت في طبيعة أهل السودان ما يؤهلهم أن يتقبلوا خطاب تجميع المسلمين ووحدتهم وتجاوز خلافاتهم وتذكير المسلمين بوحدتهم ومخاطر تمزقهم، ولعلها أرادت أن تبني خطابا متصلا لأن السودان هو مدخل لأفريقيا.

وقال الكباشي إن ما تم فيا لزيارة من حيث الشكل يعبر عن تجاوز الخطوط الوهمية بين المكونات الإسلامية، والالتفات لضرورات الوحدة الإسلامية في كل زمان ومكان، بالإضافة إلى الحديث حول التحديات الماثلة الآن فى العالم وفي السودان بشكل خاص، والسعي للتقارب بين أهل القبلة الواحدة، واتفق الجميع على أن ما يجمع المسلمين ويوحد المدارس الإسلامية ليس العصبية المذهبية، ولا البحث عن الانتصار للخيارات الفقهية لهذه الجماعة أو تلك، ولا التركيز على الفرعيات أو إعجابك لذي رأي برأيه، ولكن الاجتهاد في تحقيق المقاصد الكلية للدين وتجاوز الفرعيات إلى الكليات والبحث عن القضايا المشتركة التي يمكن أن تجمع على قاعدة الاحترام بين المذاهب.

خاتمة:

جاءت زيارة إمام وخطيب الحرم المكي الدكتور خالد الغامدي لبلاد السودان في إطار توثيق الصلات بين الدول الإسلامية والعربية، والتواصل بين مؤسسات الدعوة والدعاة بين البلدين، بجانب تعزيز منهج الوسطية والاعتدال في البلدين، وتعزيز برامج مشروعات توحيد أهل القبلة بالسودان، وقد حققت الزيارة أهدافها على أحسن صورة، بل حققت أهدافا لم تكن في الحسبان.

يرى مراقبون أن كلمات د. الغامدي خلال عدد من محطات زيارته للسودان يقرأ منها، ومن وراء سطورها نفساً جديداً في الخطاب الديني السعودي تجاه العالم الإسلامي،وأن إمام الحرم لم يزر السودان ليقيم محاضرات تقليدية المعاني بل فيها مقدمات لخطاب ديني سعودي جديد، لإعادة المسلمين كافة إلى مكة، ليست قبلة للصلاة فقط، وإنما عنواناً لوحدة جديدة للمسلمين، إذ أن وجود الحرمين في المملكة العربية السعودية يمنحها قوة رمزية هائلة، تُعيد تموضعها في صدارة القيادة الإسلامية، ولكن ذلك يقتضي تجديدًا في الرؤى والخطاب.







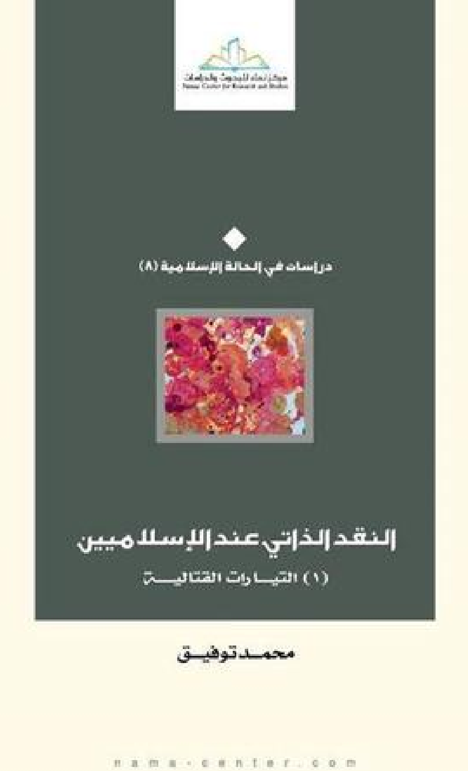
النقد الذاتي عند الإسلاميين (١) التيارات القتالية

عرض أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة دراسات في الحالة الإسلامية، التي يصدرها مركز نماء للبحوث والدراسات، والكتاب من تأليف محمد توفيق، وجاء في ٢٢٠ صفحة من القطع المتوسط، وكانت طبعته الأولى سنة ٢٠١٥ في بيروت.

يبدأ المؤلف كتابه بتمهيد حول معنى النقد وغايته، وأن القصد منه التقويم والبناء والترميم لا الهدم، وهذا يقتضي مراعاة الظرف السسيولوجي (الاجتماعي والثقافي) – النفسي الذي يخضع له الطرف المنقود، حتى يحقق فائدة النصح والتقبل.

ويوضح الكاتب غرض الدراسة بأنه تقديم تصور أكثر موضوعية وعلمية في دراسة وبحث جماعات القتال والعنف من خلال استنطاق قادة الجماعات، والجماعات نفسها، في مقابل الكم الكبير من الدراسات الخارجية عنهم، والتي تتصف بالجهل وعدم فهم كثير من منطلقاتهم، خاصة أن الجماعات القتالية تتميز بالتعقيد في أفكارها وعلاقاتها وذلك بسبب كثرة التقلبات الفكرية والتنظيمية والحركية، وفرط سيولة مواقف هذه الجماعات مع الأحداث، كما أنها تتميز بالأنا الجهادية الاحتكارية للحق والحقيقة! هذا كان الفصل الأول من الكتاب.



جاء الفصل الثاني ليعرض في المبحث الأول ٣ نماذج من النقد لأفراد من هذا التيار وهم: أبو الوليد المصري (مصطفى حامد)، وأبو مصعب السوري، وأبو أيمن الحموي.

وأبو الوليد المصري له العديد من الكتب والكتابات النقدية لجماعات القتال، وهو مؤيد لحركة طالبان،

(*) كاتب أردني.

ينتقد أبو الوليد على جماعات القتال أنها منغلقة على نفسها وتحارب بأفرادها أمتها باعتبارهم في معسكر الأعداء بخلاف طالبان التي تحارب بمجتمعها عدوها وعدوهم الخارجي، لكنه يأخذ على طالبان تقصيرها في توظيف الإعلام كسلاح في معركتها، وينتقد بساطة تصور طالبان والقاعدة للمواجهة مع أمريكا، وبسبب السذاجة السياسية وضعف تقدير الواقع كان من السهولة اختراق أجهزة المخابرات لصفوفهما.

أما أبو مصعب السوري فهو ينتقد رفض التيار الإسلامي بعامة، والجهادي بخاصة، للنقد والتقويم والمراجعة بسبب التمسك بالمألوف وتقديس الرجال والقيادات وممانعة المستفيدين من الأوضاع المائلة!

ويلخص واقع العمل الإسلامي الجهادي بقوله: «في خلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيصه في كلمتين (لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحرب في كل الميادين)».

ويجمل أخطاء التيار القتالي في:

١- خطأ في التفكير كالتشدد والتكفير، وضعف التربية الواعية وغياب فقه الواقع والسياسة الشرعية.

٢- خطأ في بنية التيار كالسرية والهرمية والقطرية، وغياب الشوري وانعدام الحس الأمني.

٣- خطأ في الأسلوب بالصدام مع بقية الإسلاميين والمواجهات الطويلة.

أما أبو أيمن الحموي فركز على نقد إعراض الجهاديين عن التعلم من أخطائهم واستعلائهم وتكبرهم على بقية المسلمين وتحول شرعي التنظيمات الإسلامية لعلماء سلطان لصالح قياداتهم التنظيمية، وغيرها.

وجاء المبحث الثاني ليستعرض نقد أفراد لأفراد من التيار القتالي وعرض ١٠ نماذج، هي:

١- نقد أبي الوليد المصري لسياسات ابن لادن المخالفة لأوامر الملا عمر أمير المؤمنين!

٢- نقد المقدسي للزرقاوي في العمليات الاستشهادية وقتل المدنيين وتوسيع دائرة الصراع والتهديدات الإعلامية الجوفاء للعالم وترك القيادة للعراقيين أبناء البلد.

٣- نقد أبي مصعب السوري لأبي قتادة الفلسطيني في تهوره بتأجيج التطرف والغلو في الجزائر.

٤- نقد الظواهري لسيد إمام على كتابه «وثيقة ترشيد العمل الجهادي»، وهنا عرض وجهة نظر الظواهري، ولم يعرض وجهة نظر سيد إمام برغم أنه هو الذي ابتدأ نقد مسار الظواهري.

٥- نقد أحمد سلامة لوثيقة سيد إمام.

٦- نقد مجلس شورى جماعة الجهاد لسيد إمام.

٧- نقد أبي بصير الطرطوسي للمقدسي حول الثورة السورية.

٨- نقد الطرطوسي لسيد إمام.

٩- موقف عبود الزمر من مراجعات الجماعة الإسلامية المصرية.

١٠ – انتقادات الجماعة الإسلامية المصرية على تنظيم القاعدة.

وهذه الانتقادات تكشف عن حجم التباين والتناقض في فكر جماعات القتال والعنف بينما يظن كثير من الشباب أنها ذات موقف فكري موحد وصلب تجاه المميعين من العلماء والمنبطحين من الدعاة، وإذا بهذه الجماعات والقيادات متناحرة متصارعة لا تكاد تتوافق على مفاصل كبرى!

وجاء المبحث الثالث ليرصد النقد الموجه لتنظيم داعش، حيث رصد تطورات نقد وخلاف الظواهري والجولاني مع داعش وخليفته البغدادي، ثم نقد المقدسي لداعش، ثم نقد أبي قتادة لداعش، ثم خلافات أحرار الشام والجبهة الإسلامية مع

داعش، ثم نقد إياد القنيبي لداعش.

وخصص المؤلف الفصل الثالث ليفكك الحالة النقدية لهذا التيار في ٤ مباحث، هي:

١- خصائص هذا النقد الجهادي الذاتي: الوضوح والصراحة، المثالية، ردة فعل وتعليق على ما وقع، عنيف لفظيا، وكم وكيف جيد بحسب المؤلف.

٢- مساحات اشتغال هذا النقد الذاتي: في الجانب الفكري والشرعي رفضت التشدد والتعصب الفكري والمذهبي، وبينت غياب فقه الواقع عن فكرهم، خلل الجهاز المفاهيمي للتيار، نقد كثير من سلوكيات التكبر والاستعلاء.

في الجانب الحركي انتقدت مركزية اتخاذ القرار، التنظيمات السرية والهرمية، خلل الحس الأمني، التهاون في تقدير قوة العدو.

في الجانب السياسي والاجتماعي كشفت ضعف الوعي الحضاري وضعف الصلة بالواقع مما أنتج تكرار الكوارث.

الجانب الأمني والعسكري كان ضبابياً وفي حالة داعش أثيرت شكوك حول تاريخ وخبرة التنظيم في تنفيذ أبشع أشكال القتل مع أرقى تقنيات التصوير والإخراج في مخاطبة الرأي العام العالمي!

٣- تفسير ظاهرة النقد عند الجهاديين: وبسبب تداخل وتركيب ظاهرة جماعات القتال والجهاد فيلزم استخدام عدة أدوات تفسيرية تتنوع بين منظور علم الاجتماع الديني ومنظور تحليلي نقدي لخطابهم والمرحلة العمرية والزعامة والمرجعية وغيرها.

٤- التحليل النهائي لظاهرة النقد الذاتي:يخلص الكاتب إلى أن هذا النقد يكشف عن ضعف علمي تأصيلي شرعي كما يتضح من ردود منظري هذا الفكر الجهادي على بعضهم البعض، كما يكشف عن ضعف في فهم الواقع السياسي القائم وكيفية التعامل معه، وهو ما أنتج العديد من الأخطاء والأزمات، من أهمها أن معظم ضحايا هذه التنظيمات هم أهل السنة الذين يزعم قادة هذه الجماعات أنهم يدافعون عنهم!

وأخيرا يبقى سؤال معلق ويبحث عن جواب:

هل استفاد التيار من هذا النقد؟ وهل استفاد الوافدون الجدد لهذا التيار من هذا النقد؟

صحّ النوم

قالوا: مهم فهم الميلشيات الفكرية لإيران بالخليج ومَن يرفع شعار الحقوق المدنية يحرّضون بحقد على من يقف مع مدنيي الموصل، لا حقوق لديهم إلا بلون الطائفية.

مهنا الحبيل – تغريدة بتويتر

قالوا: نحن انخدعنا كثيرا بنخب الحقوق والحريات والتي تبين أنها نخب طائفية تتستر خلف هذه المصطلحات بحقد أسود ومقيت.

نبيل البكيري – تغريدة بتويتر

يا تطخّه يا تكسر مخّه!

قالوا: منذ أيام عُقد مؤتمر ما يسمى «الصحوة الإسلامية باقية» والذي أقامته حكومة بغداد بضغط من مستشار خامنئي المدعو علي أكبر ولايتي، الذي تطالب به الأرجنتين. المنصة كانت متصدرة من خمسة أشخاص هم من اليمين، شخص معمم إيراني غير معروف، علي أكبر ولايتي، عمار الحكيم، حيدر العبادي ثم الإخواني العراقي رئيس البرلمان العراقي سليم الجبوري...

لم يعد خافيا على أحد أن دعم إيران الإسلامية للحركات المتطرفة والدعوات الإسلامية المتشددة كان له تأثير واضح في نشر ثقافة الكراهية والحقد بين الشباب العربي ...

عليكم أيها العرب أن تفهموا أن الاسلام الحداثي ليس رخاء، بل ضرورة وواجب، من خلاله نحترم أنفسنا وتحترمنا الأمم.

عمر الخطيب – إيلاف ٢٠١٦/١٠/٢٥

صدق في هذه!

قالوا: اليساريون المفترض أن تشغلهم العدالة الاجتماعية وسياسات اقتصادية تحمي المجتمعات والطبقات ودولة راعية للعدالة والتقدم، يشغلهم عموماً الاحتجاج بشأن قضايا لا تقدم ولا تؤخر، ويمضون في تحالفات واتجاهات لامعنى لها في الفكر اليساري المفترض؛ نضالهم مستمد من ولاية الفقيه ولا يعرفون شيئا عن ماركس.

إبراهيم غرايبة – الغد ٢٠١٦/١٠/٢٦

لهذا لا ينزعجون من قتل المسلمين بمئات الآلاف!

قالوا: كشفت دراسة حديثة أجراها مركز Pewالأمريكي للأبحاث، عن أن الديانة الإسلامية ستكون الأولى في العالم بحلول العام ٢٠٧٠، وأن عدد المسلمين سينمو سريعا جدا، من الآن وحتى عام ٢٠٥٠. وأشارت الدراسة إلى أن «الدين الإسلامي يعد الأسرع نموا حول العالم بالنسبة لعدد الذين يعتنقونه».

ولفتت الدراسة البحثية إلى أن «في الوقت الذي يتوقع فيه ارتفاع نسبة سكان العالم إلى ٣٥٪ بحلول منتصف القرن الجاري، يتوقع ارتفاع عدد المسلمين بنسبة ٧٣ ٪ بحيث يزيد من ١,٦ مليار نسمة في العام ٢٠١٠ إلى ٢,٨ مليار».

وتتوقع الدراسة أنه «بحلول العام ٢٠٥٠، سيعادل المسلمون عدد المسيحيين، حيث تعد الديانة المسيحية حاليا الأولى في العالم بنسبة ٣١,٤٪».

وأفاد القائمون على الدراسة أن «سبب زيادة نسبة المسلمين حول العالم، هو عدم معاناتهم من

شـيخوخة الـسكان بعكـس الغـرب، حيـث يبلـغ متوسـط أعمـار المـسلمين مـن ٢٣ إلى ٣٠ في غالبيـة دول العالم».

وفي العـام ٢٠١٠، بلـغ سـن ٣٤٪ مـن المسلمين أقـل مـن ١٥ عامـًا، في حـين أن ٣٠ في المئـة مـن الهنـدوس، و٢٧ في المئة من المسيحيين، كانوا في السن نفسها أيضًا.

وأوضـحت الدراسـة أن «هـذه الديموغرافيـة الكـبيرة في عـدد شـباب المـسلمين، سـتكون هـي العامـل الأبـرز في ارتفـاع أعـدادهم بـصورة أسـرع حتـى حلـول عـام ٢٠٧٠، ومـن المتوقـع أن يحـافظ الهنـدوس والمسيحيون علـى مواكبـة النمـو الـسكاني في أنحـاء العالم التي تبلغ ٢٧ في المئة».

إلى ذلـك، فـإن أعمـار جميـع المجموعـات الدينيـة المتبقيـة أقـل مـن أعمـار متوسـط الـشباب، ففـي العـام ٢٠١٠ كـان هنـاك ١١ في المئـة مـن سـكان العـالم فـوق الــ ٦٠ عامـًا، في حـين كـان ٢٠٪ مـن أتبـاع الـدين اليهودي يبلغون ٦٠ عامًا أو أكثر.

مفكرة الإسلام ٢٠١٦/١٠/٢٦

الحقيقة المغيبة

قـالوا: «نيويـورك تـايمز»، عـبر حـسابها الرسمـي علـى موقـع التواصـل الاجتمـاعي «تـويتر»، والـتي غـرّدت عـبره لأول مـرة باللغـة العربيـة مخاطبـة النـساء الـسعوديات: «نـود أن نتواصـل مـع النـساء الـسعوديات.. أخبرونـا عـن حيـاتكن، وطموحـاتكن، وآرائكـن في المجتمع السعودي».

فكتبـت أسـتاذة الحـديث بجامعـة الأمـيرة نـورة، ومـشرفة مركـز النجـاح للاستـشارات التربويـة الـدكتورة رقيـة المحـارب: «نـصف النـساء البريطانيـات يتعرضـن للتحـرش في مكـان العمـل! يمكـنكم التواصـل معهـن ليـتكلمن عـن حيـاتهن، وآرائهـن، وطموحـاتهن»! وأضـافت أن: «٧٥٪ مـن النـساء البريطانيـات يعـانين مـن اكتئـاب نفـسي بـسبب الـضغوط الماليـة! تواصـلوا معهـن.. وهنـاك ٨ ملايـين امـرأة في أمريكـا يعـشن وحيـدات مـع أطفـالهن دون أي مـساعدات خارجيـة منـذ عـشرين سـنة! حاوروهن»!.

مـن جهتهـا علقـت الـدكتورة نـوال البخيـت علـى مطالـب «نيويـورك تـايمز » بقولهـا: «رمـتني بـدائها وانـسلّت»، وأضـافت: «نريـد إخبـاركم عـن المـرأة المهـدرة كرامتهـا عنـدكم وعـدد اللقطـاء والـشواذ والأمـراض الجنـسية المنتـشرة بيـنكم، وإن شـئتم تواصـلنا معكـم بإرسـال أطبـاء لعـلاج الفتيـات المكتئبـات مـن اغتـصاب آبـائهن لهـن، أو نفـتح لكـم مـصحّات لعـلاج المـدمنات ومحاضـن لإيـواء كبـار السن».

واكتفـت الباحثـة والمختـصة في شـؤون قـضايا المـرأة سـامية العمـري بقولهـا: «لا شـأن لكـم بحياتنـا، والأقربـون أولى بـالمعروف!» مرفقـة مقطـع فيـديو يكـشف معانـاة امـرأة كنديـة تـصور معانـاة المـرأة في أمريكا الشمالية.

صحيفة تواصل – ٢٠١٦/١٠/٢٤

هذا اعتراف الإيرانيين!

قـالوا: ٢٥٠ ألـف نـسمة في منطقـة زاهـدان في سيـستان وبلوشـستان يعيـشون ظـروف وحيـاة مـا قبـل ١٠٠ سنة.

وزير الداخلية الإيراني،
نقلاً عن تغريدة د. سلطان النعيمي

تخيلوا: كان مرشحا لكرسي مفتي الديار المصرية!

قـالوا: «خـاض كـثير مـن أنـصاف المتعلمين ولـيس العلمـاء في مـسألة الحجـاب وزعمـوا أنـه لا دليـل علـى فرضـيته في كتـاب الله ولا سـنة نبيـه، وبمـا أن الانـشغال بـأمر الـسفهاء ضـرب مـن الـسفه لم يكـن مناسـبا الـرد علـى هـؤلاء بـأكثر مـن قولـه تعـالى (سـلاما) لكـن المـزعج حقـا أن ينـسب هـذا الكـلام إلى أسـتاذ متخـصص في الفقـه الإسـلامي وأصـوله (د. سـعد الـدين الهلالـي) وهـو مـا أتمنـى عـدم ثبوتـه عنـه، لأنه إن كان قد قال بهذا فهذه طامة كبرى».

الدكتور عباس شومان، وكيل الأزهر الشريف–
اليوم السابع ٢٠١٦/١٠/٢٧



الأزمة الدولية الكبيرة التالية ستأتي من إيران... أياً يكن الفائز بالرئاسة الأميركية

علي رضا نادر (محلل رفيع المستوى للسياسة الدولية في مؤسسة "راند") – فوكس نيوز ترجمة: عبد الرحمن الحسيني – الغد الأردنية ٢٠١٦/٩/٢٩

على الرغم من الخطاب المحموم للحزبين الأميركيين، فإن التوقيع على خطة العمل المشترك الشاملة التي تنص عليها الاتفاقية النووية بين إيران ومجموعة ٥+١ (الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وروسيا، والصين وألمانيا) تعود بالفائدة على الولايات المتحدة بالتأكيد، نظراً لقيام إيران بشحن معظم مخزونها من اليورانيوم إلى الخارج، وخفضها عدد أجهزة الطرد المركزي التي لديها، وقبولها بعمليات التفتيش المفاجئة. وكل هذا يجعل من الصعب على طهران تطوير أسلحة نووية. لكن خطة العمل المشتركة لم تزل الخلافات الأساسية بين أميركا والجمهورية الإسلامية.

وفي الأثناء، يستمر النظام الإيراني في دعم الإرهاب، وفي الوقوف مع نظام الرئيس السوري بشار الأسد، وفي انتهاك حقوق مواطنيه في الوطن. ومع أن انتخاب حسن روحاني كرئيس في العام ٢٠١٣ جعل التوصل إلى الاتفاق النووي ممكناً، فإنه لم يحدث أي تغييرات رئيسية في إيران.

في إيران، يستمر المرشد الإيراني الأعلى، آية الله علي خامنئي، والحرس الثوري في الاستحواذ على السلطة التي لا يمكن تجاوزها - غالباً من خلال تخطي أو ابتزاز رئيس إيران وتحدي المصالح الأميركية في المنطقة.

من المقرر أن تجري الانتخابات الرئاسية في طهران في العام ٢٠١٧؛ حيث من المرجح أن يواجه روحاني تحدياً قوياً من المؤسسة المحافظة. وكان خامنئي قد وجه انتقادات قوية لخطة العمل المشترك في الأشهر الأخيرة، مدعياً أنها لم تفض إلى تقوية اقتصاد إيران بسبب «خيانة» الولايات المتحدة. وفي حين أن خطة العمل المشترك ربما تكون قد هدأت بعض نقاط التوتر في العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران، فإن إيران العنيدة قد تختبر الرئيسة/ أو الرئيس الأميركي الجديد من خلال الدفع بحدود الاتفاقية النووية، وتحدي المصالح الأميركية في الشرق الأوسط بشكل أكثر عدوانية من السابق. وبدلاً من السعي إلى انخراط أكبر مع إيران، كما كان يؤمل، قد تعمد واشنطن إلى تبني سياسات أشد ضد النظام الإيراني.

وكان بعض المؤيدين لخطة العمل المشترك قد أعربوا عن الأمل بأن تفضي الاتفاقية النووية إلى إذابة الجليد بين طهران وواشنطن، بل وربما تقود إلى وضع حد للعداوة الطويلة بين البلدين. وعلى المستوى النظري، كان من الممكن أن يتقوى مركز روحاني الذي غالباً ما يصفه الإعلام الغربي بأنه «معتدل»، بسبب الاتفاقية، وأن يكون قادراً على متابعة أجندته الخاصة بتحرير إيران اقتصادياً وسياسياً.

في الحقيقة، لم يتحسن الاقتصاد الإيراني بالنسبة للمواطنين الإيرانيين العاديين؛ حيث ما تزال معظم البنوك الدولية تتجنب الدخول في أعمال تجارية

مع إيران على الرغم من تخفيف العقوبات ذات الصلة بالموضوع النووي.

كما أن أسعار النفط المنخفضة تشكل عاملاً كارثياً بالنسبة للاقتصاد الإيراني. وربما تكون هذه الأمور خارج سيطرة روحاني، لكن الرئيس لم يدفع أبداً ضد الدور الاقتصادي أو السياسي للحرس الثوري، تاركاً للاعب العسكري والأمني الأكثر قوة في البلاد تحديد أجندة إيران بعد الاتفاق النووي، سواء كان ذلك في الوطن أو في الخارج.

من جهة أخرى، أرسلت حملة الاعتقالات التي يشنها الحرس الثوري على المواطنين الإيرانيين مزدوجي الجنسية تهديدا لمجتمع الشتات الإيراني، وحتى للمستثمرين الأجانب المحتملين الذين كانوا ينظرون إلى إيران ذات مرة على أنها سوق جذابة.

ببساطة، لا تعتبر إيران الآن رهاناً آمناً لمعظم المستثمرين. لكن أكبر إخفاقات روحاني تجسد في عدم قدرته على جسر الفجوة بين المصالح الأميركية والمصالح الإيرانية في الشرق الأوسط.

قد يكون الرئيس ووزير خارجيته الموهوب محاورين مناسبين مع الدبلوماسيين الأميركيين والأوروبيين، لكنهما غير قادرين - أو غير راغبين- في انتهاج سياسات يكون من شأنها تعزيز الاستقرار الإقليمي.

وكان الحرس الثوري الإيراني، تحت قيادة الجنرال المتبجح قاسم سليماني، قد جند عشرات الآلاف من المقاتلين الشيعة للقتال نيابة عن طهران في العراق وسورية، وربما وراءهما أيضاً. وفي حين أن إيران ربما شاركت في محاربة «داعش» مع الحلفاء الأميركيين في العراق، فقد ساعدت مع ذلك في تعزيز الطائفية التي تستمر في تأجيج لهيب الصراع في المنطقة.

كما تبجح المسؤولون الإيرانيون بأن فيلقهم الأجنبي الجديد يُمكن أن يستخدم في «تحرير» أجزاء أخرى من الشرق الأوسط. وقد تحرشت زوارق إيرانية سريعة بقطع بحرية أميركية في مياه الخليج، في حين دعا خامنئي إلى مقاومة أكبر للتواجد الأميركي في المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك، ما يزال القمع الذي يمارسه النظام الإيراني في الوطن بمثل السوء الذي كان عليه في السابق. ويستمر الحرس الثوري والقضاء في سجن الناشطين والأكاديميين والصحفيين والفنانين. وباستثناء خطابات عامة قليلة منمقة، لم يعرض روحاني أي مقاومة لقمع النظام، على الرغم من أن التعهد الأول لحملته الانتخابية كان خلق مجتمع أكثر حرية وأقل خضوعاً «للإجراءات الأمنية».

بشكل عام، من غير المرجح أن يتكرر الحماس الذي صاحب أول حملة لروحاني في العام ٢٠١٧. ومع أن من النادر أن يخسر الرؤساء الإيرانيون انتخابات الفترة الرئاسية الثانية، يظل من المرجح أن يواجه روحاني مقاومة كبيرة - ليس من منافسيه المحافظين وحسب، وإنما من ملايين الإيرانيين الذين دعموا في البداية جهوده لتحسين إيران أيضاً.

قد يشكل خامنئي والحرس الثوري - وربما حتى الرئيس الإيراني الجديد- اختباراً للرئيس الأميركي المقبل عندما يواجه/ أو تواجه الأزمات العالمية المتعددة. ويمكن أن تأتي أبرز التحديات من إيران في شكل نشاطات نووية مثيرة للتساؤل، أو حتى ممارسات أكثر تأكيداً للذات في الخليج وفي الشرق الأوسط.

لقد أحاط الخطاب الحزبي بالغموض خطة العمل المشترك من حيث قدرتها على كبح إمكانية تطوير إيران أسلحة نووية. وتعد الاتفاقية النووية نجاحاً كبيراً لأميركا حتى هذه النقطة على تلك الجبهة. لكن على الرئيس الأميركي التالي أن يتبنى سياسة أوسع تجاه إيران، والتي تذهب إلى ما وراء تفعيل اتفاقية خطة العمل المشترك أو الانخراط مع إيران دبلوماسياً.

وتمتلك الولايات المتحدة أصلاً قوات عسكرية ضخمة وحلفاء مسلحين جيداً لمجابهة إيران في الشرق الأوسط. لكن على الرئيس الأميركي التالي أن يسلط الأضواء في الوطن على سلوك النظام الإيراني.

لا يكفي أن تحتفظ الولايات المتحدة بتواجد عسكري قوي في المنطقة أو بيع المزيد من الأسلحة لحلفائها. وإنما يجب أن تترافق هذه الجهود بانتقادات قوية لإساءات إيران في مجال حقوق الإنسان، خاصة على ضوء خيبة أمل الشعب الإيراني من إدارة روحاني.

وبالإضافة إلى ذلك، يجب على الولايات المتحدة زيادة الدعم الذي تقدمه للمجموعات الإيرانية الساعية إلى تقوية المجتمع المدني. وقد ينتقد البعض روابط الولايات المتحدة مع هذه المجموعات، باعتبار أنها قد تنزع الشرعية عنها. لكن غياب إجراء إصلاحات ذات معنى من داخل النظام يرتب على الولايات المتحدة الاستفادة من هشاشة النظام الإيراني في الوطن.

غالباً ما يتم ربط تركيز الولايات المتحدة على ترويج الديمقراطية بحالات فشل سابقة في «تغيير النظام» في الشرق الأوسط، لكن هذا لا يعني أن هذا الاتجاه يمكن أن يكون سياسة قيمة.

يبدو أن الأمل بتحقيق وفاق بين الولايات المتحدة وإيران قد تلاشى. ولا يبدو النظام الإيراني مهتماً بالإصلاح أو بتحسين العلاقات مع أميركا طالما ظل خامنئي والحرس الثوري هم أصحاب اليد العليا.

لا تنص خطة العمل المشترك على أن على أميركا التوقف عن معاملة الجمهورية الإسلامية كعدو. ويجب على الرئيس الأميركي التالي أن يتمتع بالبراغماتية التي تمكنه من رؤية خطة العمل المشتركة باعتبار أنها تخدم المصالح الأميركية من دون الشعور بأنها مقيدة بها.

والنتيجة: يشكل استمرار مناخ القمع والانتخابات الرئاسية التالية، وأفول خامنئي في نهاية المطاف، عوامل قد توفر بعض الفرص المهمة للرئيس الأميركي التالي.

البلطجية في خدمة نظام ولاية الفقيه

د. محمد السلمي – الوطن السعودية ٢٠١٦/١٠/١٩

من المعروف أن اسم النظام الإيراني الحالي قد اقترن بسياسة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، خاصة دول الجوار العربي، ودعم الإرهاب وإثارة الصراعات الطائفية ودعم الميليشيات والجماعات المسلحة في المنطقة. لكن ربما لا يعرف كثيرون أن نظام ولاية الفقيه قد اعتمد أيضا على سياسات وأدوات مشابهة، وإن كانت مختلفة نسبيا، في تعاطيه مع الاعتراضات السياسية والعرقية والاجتماعية في الداخل الإيراني. ولعل أبرز أدوات النظام الإيراني لتحقيق أهدافه ووأد أي اعتراضات اعتماده على ما يعرف في الداخل الإيراني باسم «الأراذل والأوباش» أو ما يمكن أن نسميه «البلطجية».

تاريخيا، تعود جذور البلطجية إلى مرحلة تأسيس الدولة الصفوية (١٥٠١- ١٧٥٠)، حيث بدأت ظاهرة «البلطجة» بالظهور، ومن أمثلة ذلك ما قام به إسماعيل الصفوي من تجييش لبعض البلطجية الطائفيين المعروفين آنذاك باسم «التبرائيين» ضد السنة، فقد كانوا ينطلقون في شوارع المدن ويلعنون الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول (أبوبكر وعثمان وعمر)، ويقتلون كل من لا يلعنهم، وأصبحت هذه الفئة أداة قتل وقمع وإرهاب للناس، وتحويل إيران من دولة سنية إلى شيعية.

هذه الظاهرة برزت جليا في إيران بعد ثورة ١٩٧٩. ومؤخرا صدر في إيران كتاب بعنوان «سيرة الفتوة»، حيث يتطرق لقصص الفتوات والبلطجية المشهورين في إيران، لكن العجيب في الأمر أن هذا الكتاب عمل على تلميع هذه الفئة وتقديمها كرموز للمروءة والشهامة وحسن الخلق، بينما حذّر سياسيون إيرانيون من بينهم مهدي كروبي، أحد رموز «الحركة الخضراء»، بأن النظام يلجأ إلى القوى المخربة من البلطجية، ومؤكدا على أن النظام الحالي يستخدم الأوباش والبلطجية للهجوم على منازل العلماء المراجع، والمنتقدين الدينيين والسياسيين،

والسفارات، والمراكز العلمية والفنية، تحت شعار حماية الثورة ومبادئها!

إن المتابع لظاهرة البلطجة في إيران يدرك أنها تضاعفت بشكل هستيري في الآونة الأخيرة في مدن كثيرة، وبخاصة مدن الأقليات العرقية. ومن الواضح أن المسؤولين الإيرانيين يلجؤون للبلطجية عند حاجتهم في القيام بالأعمال التي لا يرغبون في إقحام أنفسهم من خلالها بشكل مباشر، ومن أمثلة ذلك قيام الحكومة الإيرانية بإقحام مجموعة من البلطجية في الجامعات من أجل قمع الاحتجاجات الطلابية والأشخاص المعارضين والمنتقدين للنظام، وقد تم استخدام هؤلاء البلطجية في أحداث جامعة طهران وتبريز في عام ١٩٩٩.

وإذا ما عدنا إلى الصور والفيديوهات التي تم التقاطها خلال قمع المعترضين على نتائج الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩ نجد أن أعمال القمع تمت في الغالب على يد أشخاص يرتدون ملابس مدنية، وهؤلاء يتشكلون من قوات الباسيج (التعبئة) والبلطجية. وقد شاهد الجميع عمليات دهس الشباب في شوارع طهران وغيرها، وإلقاء آخرين من أعلى الجسور، وكذلك استخدامهم للقبضات الحديدية والعصي والهراوات.

ومن العمليات التي يقوم بها البلطجية في إيران ما نشرته بعض وسائل الإعلام حول حادثة وقعت في مايو الماضي، لباعة متجولين تعرضوا لهجوم من قبل أشخاص يرتدون الملابس المدنية يرافقون أحد الضباط، حيث انهالوا على هؤلاء الشباب ضربا بالعصي، وتؤكد التحقيقات على أن هؤلاء البلطجية تم تكليفهم من قبل البلدية للقيام بالأعمال التي لا يرغب المديرون القيام بها بشكل مباشر.

من هنا يمكننا القول بأن هناك عدة أسباب للجوء المسؤولين الإيرانيين للبلطجية، من أهمها وجود علاقات قديمة بين هذه الفئة والعديد من المسؤولين، خاصة أولئك الذين يتولون أعمال حفظ الأمن والمنتسبين إلى المؤسسات العسكرية والأمنية مثل «الباسيج» والحرس الثوري وغيرهما، وبالتالي يمكنهم بسهولة الوصول إليهم عند الحاجة، ومن الأسباب أيضا اعتبار بعض المسؤولين الإيرانيين أن العنف هو الحل الأمثل للتعامل مع كل من يحاول التغريد خارج سرب ولاية الفقيه، كذلك إظهار أعمال القمع على أنها ظاهرة مجتمعية غير مسيسة؛ فطالما سعت الحكومة الإيرانية إلى إلقاء مسؤولية أعمال الشغب والعنف على عاتق الشعب أو بعض فئاته والتملص من تحمل مسؤولية تلك الأفعال.

لذا، فإن تغير السلوك العدائي الراهن للنظام الإيراني سوف ينعكس - إذا ما حدث- على الصعيدين الداخلي والخارجي، وكما تعاني دول المنطقة من هذه التوجهات العدائية فإن شرائح كثيرة من المجتمع الإيراني تعاني أيضا من ذلك، وكما يقال: «وظلم ذوي القربى أشدد مضاضة». ولكن السؤال الأبرز هنا: كيف ومتى يتغير سلوك النظام الحاكم في طهران؟

الشيرازية وعداؤها للمرجعيات في العراق وإيران

الشيخ حسين إسماعيل - جنوبية ٢٠١٦/١٠/١٤

(الكاتب شيعي ميوله مع الولي الفقيه الإيراني) - الراصد

الشيرازية هي تيار فكري وسياسي أسسه السيد محمد الشيرازي في منتصف الستينات بكربلاء وكان يتناصف الشارع الشيعي في المناطق المقدسة مع حزب الدعوة وكان أشبه بالتيار الصدري بزمننا .. شاب كالسيد مقتدى الان اسمه محمد الشيرازي يرث والده السيد مهدي وجده السيد عبد الهادي بالتصدي للمرجعية دون ان يحظى باعتراف علماء النجف حتى ان السيد محسن الحكيم حذّر من خطر (حركة الرساليين) او حركة المرجعية الاسم الذي أطلقه سيد محمد على تياره .. انا اختلف مع ما ذكره علي المؤمن بكتابه (سنوات الجمر) بأن السيد مهدي الشيرازي كان صاحب السبق بتأسيس الفكر الشيرازي وادعى ان الشيرازية بالعراق كانت بمرحلة النمو مستغلة بعض مظاهر الانقسام بين سكان مدينتي النجف وكربلاء الذي كان يتحول لصدامات في الزيارات بين مواكب المدينتين، فاستغل

الـشيرازي الاب رغبــة عــوام المدينــة بالاســتقلال عــن سـطوة المرجعيـة النجفيـة وتحولـت بمـرور الـزمن الحـوزة الكربلائيـة الى حـوزة تمثـل هويـة سـكان الولايـة الـذين كـان العديـد مـنهم مـن جـذور إيرانيـة فنـشأت حركـة الـشيرازي بمعــزل عــن حــوزة النجــف كمرجعيــة كربلائيــة بديلــة ولم تكــن تملــك مــشروعاً سياســياً حتى منتصف الستينات.

تطور الأساس الفكري للحركة على يد سيد محمد بعد هجرته للكويت

هاربـاً مـن مـضايقات البعثيين واعتقـال أخيـه سـيد حسن الـشيرازي ثم انتقـل لبلـده الام ايـران بينمـا ذهـب اخـوه حـسن الـشيرازي الى الـشام وهنـاك قـام بالتبـشير للفكـر الـشيرازي في سـوريا ولبنـان ولعـل خلافـه مـع الامـام موسـى الـصدر كـان علـى هـذا الأسـاس ... رغـم انـي اعتقـد ان الـسيد حـسن الشيرازي هـو ابـرز شخصية معتدلـة بهـذا التيـار ويعـود لـه فـضل التقــارب بــين العلــويين والــشيعة في ســوريا قبــل اغتياله من قبل المخابرات العراقية بلبنان.

الشيرازية الإيرانية

في ايـران تغولـت مرجعيـة الـشيرازي مـع ثـورة الـسيد الخمـيني وكـان رأي محمـد الـشيرازي بولايــة الفقيــه داعمـاً ومـسانداً مـع منتظـري لـذلك احتلـت منظمـة العمـل الــشيرازية الــتي قادهــا محمــد تقــي المدرســي شــوارع طهـران ونـصبوا المـشانق بمنطقـة گـلبنـدگ لمعارضـي الثـورة وتمـددوا بـالأجهزة الامنيـة الإيرانيـة كـونهم في الغالـب ايـرانيين ولـدوا بكـربلاء يحملـون الجنـسيات الإيرانيـة ويطلـق علـيهم الايرانيـون اسـم كربلائيهـا! محـسن الحـسيني وسـيد كمـال الحيـدري وهـادي المدرســي كــانوا الثلاثــي القيــادي لمنظمــة العمــل الاسـلامي بعـد محمـد تقـي المدرسـي قبـل ان يخـرج كمـال الحيـدري وينقلـب علـيهم فيمـا بعـد ويؤسـس لنفسه مرجعية منفصلة.

الحركـة الـشيرازية في ايـران تحولـت لحركـة تـشبه حركــة (گــولــن) في تركيــا الان، يملكــون نــصف بـازار طهـران ويجمعـون ملايـين الـدولارات مـن أنـصارهم بـالخليج عـدد الحـسينيات الـتي يملكونهـا في قـم وأصـفهان كـبير جـداً، اضـافة لـدعم مهـدي الهـاشمي واعتمـاده علـيهم بنـشر مـا سمـي حركـات التحـرر بالـسعودية والبحـرين والـسودان، وتحـول الملـف العراقـي الى احـد الملفـات الهامـشية عنـدهم وبـدأت الـشيرازية التيـار الـصغير الـذي كـان همـه إثبـات مرجعيـة محمـد الـشيرازي تفكـر بالعالميـة ولعـل ابـرز طـرقهم بالانتـشار هـي الحـسينيات والمنـابر فقـد كـان الـشيرازيون سـابقاً يعتـبرون حمـزة الـزغير الـصوت الـذي يـستقطب لهـم المناصـرين بـشهرته لـذلك قـاموا بنـشر كـل كاسـيتاته واذا راجعـت تـراث الـردة الحـسينية تجـد كاسـيتات حمـزة هـي الأكثـر والأشـهر رغـم انـه لم يكـن افـضل مـن عبـد الرضـا ووطـن، كـان الـشيرازيون يطبعـون ويوزعـون كاسـيتاته مجانـا كـذلك فعلـوا مـع الـشاب الـصغير باسـم الكربلائـي الـذي نقلـوه مـن مدينـة أصـفهان للكويـت وانطلقـت شـهرته بـشكل مُلفـت للنظـر مـع ان اسـاتذة باسـم كـأبو بـشير النجفـي وجليـل وعلـي باشـا وسـيد حـسن لم يحققـوا ربـع شـهرته الفـضل يعــود بــذلك لمؤســسة الرســول الأعظــم الــشيرازية بالكويـت فهـو الـصوت الـذي ادخـل الـشيرازية الى كـل بيـت شـيعي في اصـقاع العـالم. كـذلك فعلـت مـع الخطبـاء ويعتـبر حميـد المهـاجر رغـم مقدرتـه العلميـة والخطابيـة المحـدودة أشـهر خطبـاء هـذا الفكـر بالعـالم الـشيعي تجـاوزت شـهرته الـشيخ الـوائلي مـع ان الكـل يعـرف ان امكانياتـه الخطابيـة بـسيطة لكـن الـشيرازية كان لها الدور الأكبر بهذه الشهرة.

لم تكــن الــشيرازية تعلــن عقائــدها الدينيــة في الثمانينـات لأنهـا كانـت تعمـل بمحـيط لـيس شـيعياً في بعـض الـدول وتـسعى لكـسب الانـصار فكانـت تحـرص على طرح افكارها السياسية فقط.

الصراع مع ولي الفقيه

استطيع تلخيص اسـباب صـراع الـشيرازيين مـع ولـي الفقيه بالنقاط التالية بشكل مختصر:

١- دعـوة الـسيد الخمـيني للانفتـاح علـى العـالم الـسني واحـترام الـصحابة اعتبرهـا الـشيرازيون انقلابـاً عقائـدياً لأنهـم يـسمون الـسنة البكريـة والعمريـة ويعتبرون عقائدهم فاسدة.

٢- اعــدام مهــدي الهــاشمي وعــزل منتظــري لاكتـشافهم بعلاقـاتهم مـع المخـابرات الامريكيـة افقـد الـشيرازيين قــوتهم ونفــوذهم داخــل الأجهــزة الإمنيــة الإيرانية.

٣- التقــارب الكــبير بــين الــشيرازيين والحجتيــة

بالافكار عكس صراع الحجتية مع ولاية الفقيه فمسهم شرر هذا الصراع.

٤- خوف الحرس الثوري من تنامي الشيرازيين داخل جسم الدولة قد يؤدي الى انقلاب مضاد خصوصا وان السيد الشيرازي كان يطرح فكرة مجلس شورى الفقهاء ضمن إطار ولاية الفقيه اي انه لا يؤمن بولاية الفقيه المطلقة.

٥- اتصور ان فتوى السيد الخامنئي بتحريم التطبير كانت معدة مسبقاً لضرب الشيرازيين الذين يعتبرون التطبير عقيدة لأن الشعب الايراني أساساً لا يؤمن بالتطبير عدا بعض الأقليات التركية، لذلك لا اعتقد ان الفتوى موجهة للإيرانيين ولكن كانت معدة لضرب الشيرازيين وإغلاق حسينياتهم وتحجيمهم لأنهم سوف لن يلتزموا بالفتوى ويدخلوا بصراع مع الرهبر وهذا ما حصل بالفعل، اغلقت كل حسيناتهم واعتقل العديد من قادتهم وفرضت الإقامة الجبرية على سيد محمد الشيرازي واعتقل ولداه.

قد يتصور البعض اني ابالغ بدور الشيرازيين ونفوذهم السياسي القوي في ايران ويعتقد البعض هذا التيار عراقي كربلائي ولكن اغلب هذه المعلومات اخذتها من احد ضباط الحرس الثوري في مدينة قم بالتسعينات وهو شيرازي كربلائي ساهم بغلق اكثر حسينيات الشيرازية بقم وأصفهان للحفاظ على موقعه بالدولة، الشيرازيون تيار تغلغل بالعالم الشيعي ولكن ثقلهم الاقوى في ايران. رغم انهم التيار الابرز بالكويت والبحرين والسعودية.

الشيرازيون العرب

الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين، ومنظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية تعتبر اهم حركات التحرر التابعة للشيرازية وهذا ما يفسر انفصال شيعة البحرين والسعودية عن تبني فكرة ولاية الفقيه لأن قياداتهم بالغالب شيرازية، الشيخ نمر النمر وحسن الصفار من قيادات الحركة الشيرازية بالسعودية، الشيخ حسن شحاته في مصر كان شيرازياً وهذا ما يفسر موقفه المتشدد من الخلفاء والصحابة.

بعد الضربة التي تلقاها الشيرازيون في ايران غيروا خطابهم بالخليج وبدأوا يتبنون خطاباً معتدلاً مع الحكومات العربية، عاد حسن الصفار للسعودية وتبنى الحوار مع السلفيين والدولة، ودخل العديد من شيرازية البحرين في البرلمان وتصالحوا مع آلِ خليفة، النائب الكويتي صالح عاشور يعتبر عراب الشيرازية بالكويت والمشرف على قناة الانوار التي يديرها المليونير الشيرازي الايراني الأصل الحاج اسماعيل جنتي، في العراق عاد السيد محمد تقي المدرسي لكربلاء للحفاظ على الوجود التاريخي في المدينة التي انطلق منها التيار واهتم بالإعلام، ولم يدخلوا بصراعات الاحزاب الشيعية ويعتبر الشيرازيون العراقيون هم اكثر الشيرازيين العرب هدوءاً وحفاظاً على توازنهم، حركة الوفاق لجمال الوكيل وحزب الطليعة للياسري هي أذرع التيار السياسية في العراق.

قنوات الشيرازية:

١- قنوات الانوار.

٢- قناة فدك التي يديرها ياسر الحبيب.

٣- قناة اهل البيت العربي والانگليزي السيد هادي المدرسي.

٤- قناة الهادي.

٥- قناة المرجعية تابعة للسيد صادق الشيرازي .. وغيرها من القنوات الانگليزية والفارسية.

عقائد الشيرازية:

الفكر العقائدي الشيرازي هو خليط بين النسق الاصولي والنمط الفكري الإخباري يتبنون الكثير من افكار الحجتية يستخدمون أساليب الوهابية في المبالغة بالصحابة هم يبالغون بأهل البيت الى حد التأليه وحد تكفير اعدائهم ويسمونهم البكرية والعمرية وتكفير اتباعهم ويسمونهم البترية يعتبرون سب أعداء اهل البيت واجب ويجوزون الخروج عن الذوق الاخلاقي بسبهم بل يوجبونه الى درجة تعتبر محاضرات مجتبى الشيرازي وياسر الحبيب اقرب للأفلام الاباحية في وصف عائشة والطعن بشرفها وشرف الخليفة عمر، ولا يؤمنون بالتقية في إظهار هذه العقائد بل يروّجون لها عبر فضائياتهم.

فكرهم طقوسي عاطفي فهم يقدسون الطقوس وليس الجذور يرفعون مقام اللطم والتطبير الى درجة عقدية ويعتقدون ان من يقوم بهذه الطقوس يكفي ان

يدخل بها الجنة .. أضاف الشيرازية الى التشيع التأسي بعد التبري والتولي .. لذلك هم يعتبرون كل هذه الأفعال الطقوسية هي نوع من انواع التأسي الواجبة وهي اضافة لم يقل بها علماء الشيعة بل أنكر وحرم الكثير منهم هذه الطقوس واعتبرها بدع .. الشيرازية يؤمنون بانحراف كل عالم ينتقد التطبير كالسيد الخامنائي والشيخ الوائلي حين انتقد مظاهر اخراج الشيرازية للجمال في لندن حاربه كل خطباء الشيرازية وعلى رأسهم حميد المهاجر وياسر الحبيب كما انهم يؤمنون بانحرف الشهيد الصدر الاول والثاني والخميني وكل من يدعو الى التقارب مع السنة لأنه بحسب وصفهم يخالف عقيدة التبري من أعداء اهل البيت .. لذلك يستقطب الشيرازية كل الاصوات الشيعية المتطرفة كما استقطبت قناة الانوار حليم الغزي الذي اسس فرقة في أوربا اسماها زهرائيون.

الفكر الشيرازي هو اخطر فكر على التشيع المعاصر لأنه يصادر الخطاب الاعلامي الشيعي بضخامة مصادر تمويله وسطوة فضائياته فالفضائيات الشيرازية انشط من فضائيات ايران نفسها واكثر انتشاراً في العالم الشيعي، كان التيار الشيرازي في زمن السيد محمد الشيرازي اكثر اتزاناً وهدوءاً لكن تعتبر فترة صادق الشيرازي هي الفترة المتأججة فقد عكس الرجل تطرفه الشخصي على التيار وبدأ يتضح وجه التيار الحقيقي بعد دخولهم بصراعات إعلامية مباشرة مع حزب الله وإيران الامر الذي يعده أنصار ولاية الفقيه خيانة للتشيّع الذي تقوده ايران بالمنطقة ووقوف الى جانب الأعداء بينما يضغط الشيرازيون بهذه اللغة الاستعدائية اعلاميا على نظام ولي الفقيه لخلق حصانة لمرجعهم واتباعه في ايران.

موقف التيار من حوزة النجف لا يختلف كثيراً عن موقفه من حوزة قم فقد دخلوا بصدامات إعلامية وخطابية مع بعض علماء النجف الذين اعتبروهم من البترية .. قام أنصار الشيرازية ببعض المظاهرات في المناطق السنية ببغداد سبوا بها رموز السنة وحرضوا على الفتنة الطائفية .. يعتبر بعض رجال الدين كالسيد كمال الحيدري الذي كان من قيادات هذا التيار ان الشيرازيين تستخدم خطابهم المتشدد بعض القوى العالمية لاشعال الحرب الشيعية السنية بالمنطقة.

لازال الشيرازيون يستغلون عاطفة الشيعة ايام محرم لبث الفكر الطقوسي الذي ليس له علاقة بالخطاب الفكري الجعفري ليجعلونه بديلاً عن التشيع الجعفري الذي يعتبر مدرسة فكرية متكاملة في البحث والتحقيق العقدي والفقهي تشهد لها كل مدارس الفكر الاسلامية.

توجهات النخبة من "الإخوان المسلمين" نحو إيران ودورها في المنطقة

د. فاطمة الصمادي - الجزيرة نت ٢٠١٦/١٠/١٨

ملخص تتناول هذه الورقة توجهات النخبة داخل الإخوان المسلمين تجاه إيران ودورها في المنطقة، استنادًا إلى نتائج استطلاع الرأي الذي أجراه مركز الجزيرة للدراسات، وأعلن نتائجه العامة مطلع هذا العام. وتكشف هذه النتائج عن تحولات كبيرة في نظرة الإخوان المسلمين نحو العلاقة مع إيران، وتظهر فجوة كبيرة في العلاقة سببها الموقف من التحولات التي يشهدها الوطن العربي وفي مقدمة ذلك ملف الثورات العربية.

تُظهر النتائج أن قراءة جديدة تتكوَّن داخل صفوف النخبة الإخوانية للسياسات الإيرانية، وهي قراءة تحمل تقييمًا سلبيًّا في الكثير من جوانبه. وعلى الرغم من وجود الكثير من التأثيرات المتبادلة والتقاطعات على صعيد الفكر، خاصة فيما يتعلق بالنظام الإسلامي، إلا أن النتائج تُظهر نفورًا إخوانيًّا من النموذج الإيراني في الحكم.

وتعتقد النخبة داخل الإخوان المسلمين، وفقًا للنتائج، أن البُعد المصلحي بات يطغى على السياسات الإيرانية وتوظيف الملفات العربية لصالح تعزيز نفوذها في المنطقة، وذلك ينطبق على القضية الفلسطينية، فضلًا عن الشعور بأن إيران تقوم بدور سلبي مهدِّد للمصالح العربية. وتؤكد هذه النخبة أن الخلافات العربية- الإيرانية تذكي نار الخلاف بين السُّنَّة والشيعة، فضلًا عن أنها تصب في مصلحة الكيان الصهيوني.

شكَّل شعار «الوحدة الإسلامية» عنوانًا للتقارب بين الإخوان المسلمين في مصر والحركة الإسلامية في إيران، وألقى هذا الهدف بظلاله على العلاقة التي تعود بتاريخها إلى ما قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، ويمكن إرجاع بداياتها إلى ثلاثينات القرن العشرين. وفي عام ١٩٤٨ أخذت العلاقة وجهًا جديدًا مع تبني الجامع الأزهر لفكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتشكيل «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» بمساهمة عدد من كبار العلماء ورجال الدين المصريين والإيرانيين.

عمل مؤسِّس حركة الإخوان المسلمين، حسن البنَّا، حتى قبل دعوة الأزهر، على ترسيخ دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وكان الكثير من أئمة الشيعة في إيران يحلُّون ضيوفًا على الجماعة في مصر ومنهم السيد القمي ونواب الصفوي. وتؤكد معظم كتابات الإخوان وشهاداتهم على هذا الصعيد أن الإمام البنا كان مؤمنًا بأن «الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببًا للتفرقة في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء». وعلى الجانب الشيعي، كان لأفكار ومواقف رجال مثل محمد قمي وآية الله كاشاني ونواب صفوي دور كبير أيضًا في تجاوز تلك الحساسيات المذهبية وقد نُقل عن نواب صفوي قوله: «لنعملْ متحدين للإسلام ولنترك كل ما عدا جهادنا في سبيل عزِّ الإسلام. ألم يَأْنِ للمسلمين أن يفهموا ويدعوا الانقسام إلى شيعة وسُنَّة»[1].

وكان التشاور بين الطرفين يأتي في زيارات ولقاءات جمعت البنا بعدد من القيادات الشيعية، وجاء ذلك سابقًا ولاحقًا لتأسيس «التقريب بين المذاهب الإسلامية» التي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي بشكل كبير. وترك اللقاء الذي جمع الإمام البنا والمرجع الشيعي آية الله كاشاني في موسم الحج عام ١٩٤٨ أثره في توطيد عرى العلاقة. ومن أبرز الزيارات التي حدثت على هذا الصعيد زيارة نواب صفوي سنة ١٩٥٤ للقاهرة عقب مشاركته في مؤتمر لنصرة القدس في عَمَّان[2].

ويعد نواب صفوي، قائد مجموعة فدائيي الإسلام «فدائيان إسلام»، واحدًا من زعماء الحركة الإسلامية الإيرانية الذين ارتبطوا بعلاقات وثيقة مع الإخوان المسلمين. وخلال زيارته إلى مصر ألقى الصفوي في جامعة القاهرة خطابًا حاشدًا أعلن فيه مسؤولية حركته عن اغتيال رئيس الوزراء الإيراني السابق، رزم آراء. وهو الاعتراف الذي جرَّه إلى المحاكمة والإعدام في إيران لاحقًا ولاقى ردود فعل عنيفة في صفوف الحركة الإسلامية. وتزامنت الزيارة مع فترة عصيبة في تاريخ الجماعة عندما قررت الحكومة المصرية حلَّها[3].

حظيت طروحات سيد قطب باستقبال حافل داخل صفوف الحركة الإسلامية في إيران، وجرى ترجمة العديد من مؤلَّفاته إلى الفارسية، وممن قاموا بعدد من الترجمات: المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران، علي خامنئي[4]. ووصلت العلاقة ذروتها مع انتصار «الثورة الإسلامية» في إيران؛ حيث تصدرت صورة للخميني الغلاف الرئيسي لمجلة الإخوان «الدعوة»، كما جرى تشكيل وفد لزيارة إيران ولقاء الخميني[5]. لكن الحماس الإخواني للثورة تراجع وصبغت العلاقة مسحة تردد وتحفظ، بسبب ما أبداه الإخوان من ملاحظات على بعض بنود الدستور الإيراني التي لا تساوي بين سكان الجمهورية الإسلامية، إضافة إلى رفضهم للمحاكمات الثورية

(١) يوسف، أحمد، «الإخوان المسلمون والثورة الإسلامية في إيران: جدلية الدولة والأمة في فكر الإمامين البنَّا والخميني»، بيت الحكمة للدراسات والاستشارات، يونيو/حزيران٢٠١٢، ص.ص٢٤- ٢٧.

(٢) «الإخوان والثورة السلمية في إيران، مراجعات فكرية (١)»، ويكيبيديا الإخوان، الموسوعة الرسمية التاريخية لجماعة الإخوان المسلمين، (تاريخ الدخول ٦ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦):
http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title
الإخوان – والثورة – السلمية – في - إيران

(٣) «الإخوان والثورة السلمية في إيران»، المصدر السابق.

(٤) احمد نجمي، سيد قطب، طلايه دار بيداري اسلامي سيد قطب (سيد قطب زعيم الصحوة الإسلامية)، كشاف الصحوة الإسلامية، مركز اسناد انقلاب إسلامي (مركز وثائق الثورة الإسلامية/ إيران)، ٦ مايو/أيار ٢٠٠٧ (تاريخ الدخول، ٦ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٦):
http://www.irdc.ir/fa/content/5190/default.aspx

(٥) يوسف، أحمد، «الإخوان المسلمون والثورة الإسلامية في إيران»، مرجع سابق. ص.ص٢٤- ٢٧.

والإعدامات التي حدثت في إيران؛ حيث رأى الإخوان أنها تسيء إلى سمعة الثورة[1]. ورغم أن الإخوان اعتبروا أن العراق هو من بدأ بالحرب ضد إيران إلا أنهم وبعد سنوات من الحرب حمّلوا إيران مسؤولية استمرارها[2].

وأدخل موقف إيران من انتفاضة الإخوان في سوريا ضد نظام حافظ الأسد ومذبحة حماه، حين وقفت إيران موقفًا مؤيدًا للنظام العلماني في سوريا، العلاقة بين الطرفين مرحلة جديدة اتسمت بالتوتر وتبادل الاتهامات؛ حيث رأى الإخوان أن الثورة الإسلامية في إيران لم تكن وفية لشعاراتها، فيما بدأت إيران تكيل الاتهامات لجماعة الإخوان بأنها انحرفت عن مسارها الذي أراده لها البنَّا، وباتت عرضة لتأثير التيارات السلفية الخليجية[3].

ورغم التقاء وجهة نظر الجانبين حول الكثير من القضايا وفي مقدمتها القضية الفلسطينية إلا أن العلاقات بقيت محاطة بظلال الشك والاتهام، وجاءت ثورات الربيع العربي وجاء رفض الإسلاميين لاستنساخ نموذج الدولة الإيرانية وكذلك الموقف من الثورة السورية لتتعمَّق الشُّقَّة بين الإخوان وإيران؛ مما ينبئ بفصل جديد من العلاقة لن يكون من السهل تجسير هوة الخلاف فيه. ومن الواضح أن النتائج التي تستعرضها الورقة تكشف عن جانب كبير من أبعاد هذه الهوة ومسبباتها.

استطلاع الرأي

اشتمل استطلاع الرأي الذي نفّذه مركز الجزيرة للدراسات، وأعلن نتائجه العامة مطلع هذا العام ٢٠١٦، على محاور عديدة، منها: توجهات النخبة الحزبية ممن ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين، وهو ما تتناوله هذه الورقة، علمًا بأن الاستطلاع شمل ٨٦٠ مستجيبًا أُجريت معهم مقابلات تليفونية ضمن عيِّنات ممثِّلة للنخبة العربية في ٢١ دولة عربية (وقد نُفِّذ الاستطلاع[4] خلال الفترة ٣٠ سبتمبر/أيلول إلى ٣٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٥).

وعكست الانتماءات الحزبية والفكرية للمستجيبين تنوعًا بحيث قال ٣٧٪ منهم: إن الأحزاب الإسلامية هي الأكثر تعبيرًا عن أفكارهم ومصالحهم من بين الأحزاب والاتجاهات الفكرية القائمة في الوطن العربي، فيما لم يجد ١٧٪ منهم من القائم ما يعبِّر عن مصالحهم وأفكارهم، وحددها ٢١٪ منهم بالليبرالية، و١٤٪ منهم بالقومية، و٨٪ باليسارية، وكانت نسبة من رفض الإجابة ٣٪.

هذا، ونتناول في هذه الورقة توجهات الفئة المنتمية لأحزاب تنضوي تحت فكر جماعة الإخوان المسلمين تجاه إيران ودورها في المنطقة ومستقبل العلاقات العربية- الإيرانية.

وجاءت النتائج كالتالي:

تقييم العلاقات العربية- الإيرانية

أظهرت النتائج أن النخبة ذات التوجه الإسلامي وتنضوي تحت أحزاب إسلامية، تنظر بسلبية عالية إلى المستوى الذي وصلت إليه العلاقات العربية- الإيرانية، وتنظر بتشاؤم إلى مستقبل هذه العلاقات:

- العلاقات السياسية: بيَّنت نتائج الاستطلاع أن (٩٥٪) من المستجيبين يعتقدون أن العلاقات السياسية العربية- الإيرانية سيئة (٣٤٪ سيئة جدًا، ٦١٪ سيئة)، فيما رأى (٤٪) فقط أنها جيدة وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.
- العلاقات الاقتصادية: تحسَّن تقييم العلاقات الاقتصادية مقارنة بالسياسية لكنه بقي تقييمًا سلبيًا؛ إذ اعتبر ٦٥٪ أنها (سيئة جدًا ١٠٪، وسيئة ٥٥٪)،

(١) المرجع السابق، ص ٣١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٤) استُخدم لهذا المسح أسلوبُ المعاينة الطبقية العشوائية؛ حيث اعتُبرت كلُّ دولة طبقةً مستقلة وجرى توزيع العينة بين مختلف الدول بأسلوب التوزيع المتساوي؛ بواقع ١٠٠ مشاهدة لكل دولة، تقريبًا، مع استثناء بعض الدول من هذا العدد لأن عدد وحدات المعاينة في الإطار قليل، =

وقد تم سحب العينة من الطبقة بأسلوب العيِّنة العشوائية، وقد جرى تحديد حجم العينة بمستوى دقة يصل إلى ٩٨٪ على المستوى الكلي للمتغيرات الرئيسية، وبهامش خطأ يتراوح بين ± ٢,٥- ٣٪. تم تصميم استمارة الاستطلاع وتحكيمها من قبل خبراء وأكاديميين متخصصين في استطلاعات الرأي والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، وأُنجز الاستطلاع في ٢١ دولة عربية، هي: مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين، والسعودية، وقطر، والبحرين، والكويت، والإمارات، وعُمان، واليمن، وليبيا، والسودان، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، وجيبوتي، والصومال.

ويُعد الاستطلاع هو الأول من نوعه الذي يتناول العلاقات العربية- الإيرانية والموقف من الدور الإيراني في المنطقة العربية وتوجهات النخبة العربية نحوها، وتشكِّل نتائجه مادة غنية للدراسين والباحثين وصنَّاع القرار.

ورأى ٣٠٪ من المستجيبين أنها جيدة (جيدة جداً ١٪، وجيدة ٣٠٪)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٥٪.

- العلاقات الأمنية: عكست النتيجة تقييمًا سلبيًا عاليًا للعلاقات الأمنية بين الوطن العربي وإيران؛ حيث إن ٨٪ فقط يرون أنها (جيِّدة جداً ١٪ وجيدة ٧٪)، فيما أكَّدت الغالبية العظمى من المستجيبين ٩٠٪ أن العلاقات الأمنية سيئة (سيئة جداً ٤٥٪، وسيئة ٤٥٪). وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.

- العلاقات الثقافية: وبنسبة وصلت إلى ٨٦٪ (سيئة ٥٦٪، وسيئة جداً ٣٠٪)، صنَّف المستجيبون العلاقات الثقافية العربية- الإيرانية بأنها سيئة وسيئة جداً. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- العلاقات الاجتماعية: اعتبر ٧٨٪ من المستجيبين أن العلاقات الاجتماعية العربية- الإيرانية (سيئة جداً ٢٥٪، وسيئة ٥٣٪)، مقابل ٢١٪ من المستجيبين رأوا أنها (جيدة جداً ١٪، وجيدة ٢٠٪). وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

العلاقات العربية- الإيرانية خلال السنوات الخمس القادمة

كشفت النتائج أن غالبية النخبة ذات التوجه الحزبي الإسلامي، لا تتوقع تحسنًا في العلاقات العربية- الإيرانية على مختلف الصُعد خلال السنوات الخمس القادمة.

- **العلاقات السياسية:** تدل النتائج على توقع حدوث مزيد من التراجع في العلاقات السياسية خلال السنوات الخمس القادمة؛ حيث يرى ٧١٪ من المستجيبين أن العلاقات العربية- الإيرانية في جانبها السياسي ستكون أسوأ مما هي عليه الآن، فيما يرى ١٧٪ أنها ستكون كما هي عليه الآن، وعبَّر (١٢٪) عن تفاؤلهم بأن تصبح العلاقات السياسية أفضل مما هي عليه الآن.

- **العلاقات الاقتصادية:** توقَّع ما يزيد عن نصف المستجيبين (٥٧٪) أن تكون العلاقات الاقتصادية خلال السنوات الخمس القادمة أسوأ مما هي عليه الآن، فيما رأي (٢٥٪) أنها ستراوح مكانها كما هي عليه الآن، وقال (١٧٪): إنها ستكون أفضل مما هي عليه الآن. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

- **العلاقات الأمنية:** تبيِّن النتائج أن ٦٦٪ من المستجيبين يتوقعون أن تصبح العلاقات الأمنية أسوأ مما هي عليه الآن، فيما توقَّع ١٦٪ منهم أن تكون أفضل مما هي عليه الآن، و١٧٪ منهم توقعوا أن تبقى العلاقات الأمنية كما هي عليه الآن. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- **العلاقات الثقافية:** توقع أكثر من نصف المستجيبين (٥٨٪) أن تتراجع العلاقات الثقافية العربية- الإيرانية لتصبح أسوأ مما هي عليه الآن، فيما توقع (٢٨٪) أن تبقى كما هي عليه الآن، وتوقع (١٣٪) أن تصبح أفضل مما هي عليه الآن. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- **العلاقات الاجتماعية:** رأى ما يزيد عن نصف المستجيبين (٥٧٪) أنها ستكون أسوأ مما هي عليه الآن، وقال ٢٨٪ منهم: إنها ستبقى كما هي عليه الآن، فيما قال ١٣٪ فقط: إنها ستكون أفضل مما هي عليه الآن. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

أهم المشكلات التي تواجه العلاقات

وفي إجابتهم على السؤال المتعلق بأهم المشكلات التي تواجه العلاقات العربية- الإيرانية، بيّن ٣٩٪ من المستجيبين أن التدخل الإيراني في شؤون الدول العربية هي أهم مشكلة تواجه العلاقات، تلاها المشكلة الطائفية بنسبة (٢٩٪)، ثم الصراع على الدور السياسي والنفوذ بنسبة (٢٨٪)؛ فالتدخل الخارجي الغربي بنسبة ٣٪.

مقولات حول العلاقة

- العلاقات العربية- الإيرانية ودور رجال الدين: حملت غالبية آراء هذه الفئة من النخبة تقييمًا سلبيًا لدور رجال الدين في إيران والعالم العربي في توتر العلاقات العربية- الإيرانية، وفي تحليل النتائج وافق ٩٥٪ (أوافق بشدة ٦٦٪، وأوافق ٢٩٪) على مقولة: «إن

رجال الدين في إيران يلعبون دورًا كبيرًا في توتر العلاقات»، فيما عارض المقولة ٣٪ منهم. أما فيما يتعلق برجال الدين في العالم العربي وافق ٥٤٪ من المستجيبين على مقولة: «إن رجال الدين في العالم العربي يلعبون دورًا كبيرًا في توتر العلاقات العربية-الإيرانية» (أوافق بشدة ١٣٪، وأوافق ٤١٪)، وعارض ما يقرب من نصف المستجيبين (٤٤٪) المقولة (أعارض ٤٢٪، وأعارض بشدة ٢٪)، ورفض (١٪) منهم الإجابة.

- الموقف من السلوك السياسي لدى الجانبين: تشير النتائج إلى أن النخبة الحزبية ذات التوجه الإسلامي تحمل آراء متقاربة تجاه الطبقة الدينية والطبقة السياسية فيما يتعلق بالعلاقات العربية-الإيرانية، وترى أن الدين والسياسة كليهما وجه للآخر في تقرير مستوى العلاقات، وتكشف النتائج أن غالبية كبيرة من المستجيبين، ٩٦٪، ترى أن السلوك السياسي الإيراني يلعب دورًا كبيرًا في توتر العلاقات (أوافق بشدة ٦٠٪، وأوافق ٣٦٪)، فيما عارض ٣٪ فقط هذه المقولة، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة ٢٪.

وفيما يتعلق بالمقولة تجاه السلوك السياسي العربي قال ٥٦٪ إنهم يوافقون على أن السلوك السياسي العربي يلعب دورًا كبيرًا في توتر العلاقات العربية-الإيرانية (أوافق بشدة ١٧٪، وأوافق ٣٩٪)، فيما عارض المقولة ٤٣٪ (أعارض ٣٧٪ وأعارض بشدة ٦٪)، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة ١٪.

إيران والقضية الفلسطينية

كشفت النتائج بوضوح أن تعويل إيران على دعمها السابق للقضية الفلسطينية لكسب مزيد من التأييد السياسي لم يعد مجديا كالسابق، وأن هذه القضية وإن كانت عامل تقارب بين هذه الفئة من النخبة العربية وإيران إلا أن نظرتهم للدور الإيراني على هذا الصعيد باتت محل نقد وشك؛ حيث وافقت غالبية المستجيبين ٩١٪ على أن إيران تستخدم القضية الفلسطينية لتعزيز نفوذها في العالم العربي (أوافق بشدة ٦٣٪، وأوافق ٢٨٪)، فيما عارض المقولة ٤٪ (أعارض ٣٪، وأعارض بشدة ١٪).

وكشفت النتائج أن القضية الفلسطينية ما زالت قضية جوهرية لدى الرأي العام العربي على مختلف توجهاته، وأنه يقيس الكثير من القضايا بالاحتكام إليها، وأوضحت النتائج أن ٩٥٪ من المستجيبين من هذه الفئة يحمِّلون الأنظمة العربية مسؤولية التقاعس عن دعم القضية الفلسطينية مما عزَّز من النفوذ الإيراني (أوافق بشدة ٦٥٪، وأوافق ٢٩٪)، فيما عارض المقولة ٩٪ منهم (أعارض ٨٪، وأعارض بشدة ١٪). وكانت نسبة من رفضوا الإجابة أو لم يُبدوا رأيًا ٢٪.

«النموذج الإيراني» في الحكم

يعود الخطاب السياسي الإيراني من حين لآخر إلى طرح مفهوم الديمقراطية الدينية كوصفة مناسبة للشعوب المسلمة، ويواصل التبشير بـ«مشروع الخميني» في إقامة نظام الحكم وحسنات نظام «ولاية الفقيه»، بهدف «ملء الفراغ الموجود»، وكذلك «الديمقراطية الدينية» التي يتحدث عنها مرشد الثورة، علي خامنئي، ويجد ذلك طريقه من خلال التبشير بالنموذج الثوري الإيراني، والدعوة إلى نظام «حُكم الشعب الديني»[١].

وهنا، تُظهر النتائج أن إيران فشلت في تسويق تمثيل «ولاية الفقيه للديمقراطية الدينية»؛ حيث إن ٨٦٪ من المستجيبين يرون أن تمثيل إيران لذلك كان سلبيًّا (٦٦٪ سلبي بدرجة عالية و٢٠٪ سلبي إلى حدٍّ ما)، فيما اعتبر ٧٪ فقط أنه كان تمثيلًا إيجابيًّا (٤٪ بدرجة عالية و٣٪ إيجابي إلى حدٍّ ما). وكانت نسبة من رفضوا الإجابة أو لم يُبدوا رأيًا ٦٪.

- فيما يتعلق بنموذج الحكم: تظهر الخلافة نموذجًا مطلوبًا في طرح الإخوان المسلمين، والحكومة المطلوبة بالنسبة لهم هي الحكومة التي تدعو إلى الخلافة. ويعللون ذلك بكون الخلافة هي مظهر وحدة المسلمين. ويمكن رؤية هذا الطرح واضحًا في أدبيات الإخوان، كقادة وجماعة. ويدافع البنَّا عن الخلافة ويرى أنها يجب أن تكون من أصول تأسيس الحكومة الإسلامية[٢].

---

(١) الخامنئي: الديمقراطية الدينية يمكن أن تملأ فراغات مستقبل التطورات في المنطقة، الموقع الرسمي لمرشد الثورة الإسلامية، ٨ سبتمبر/أيلول ٢٠١١، (تاريخ الدخول: ٨ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦).

(٢) مجيد مرادي، نظريه دولت در انديشه سياسي حسن البنا (نظرية =

وتتقدم الخلافة في الفكر السياسي لجماعة الإخوان المسلمين على نماذج الحكم الأخرى، وهي أفضل من الجمهورية والسلطنة، وذلك لأن الخلافة مظهر وحدة المسلمين[1]. وتركت طروحات محمد رشيد رضا تأثيرها على هذا الصعيد؛ إذ لا يعتقد بضرورة أن يكون الخليفة قرشيًّا، وإنما شرطها أن يتصدى لها الإنسان الكفؤ المقبول من الناس والحافظ لأحكام الله، وبذلك يكون من الواجب على الناس طاعته[2].

ويعتقد حسن الهضيبي[3]، أن الحكومة الإسلامية ضرورة، لأن الكثير من الأحكام الإلهية تحتاج إلى سلطة تنفِّذها، وتتجاوز حدود الأفراد كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما أن الحكومة الإسلامية هي ضرورة اجتماعية، وإقامتها مصداق التعاون والتعاضد على الخير، وعدم إقامتها مصداق الظلم[4]. وهذه الحكومة مكلفة بالعمل ضمن الإطار الكلي للإسلام، والحاكم الحق هو من يقوم بتطبيق الشريعة وحفظ الدين والدفاع عنه[5].

على الجانب الآخر، سعت الطروحات الفكرية السياسية للحركة الإسلامية الشيعية إلى تأسيس الدولة الإسلامية، أما الحكومة المطلوبة من قبل الحركة الإسلامية الإيرانية فتقوم على نموذج النيابة في زمن الغيبة. ولذلك، فإن الجمهورية الإسلامية قامت بإحياء نيابة الفقهاء[6]. والحاكم الشرعي عند الشيعة هو الإمام المعصوم، المفسِّر للقرآن، العالم بدقائق أمور الدين، واستنادًا إلى الأحاديث والروايات فهذا المنصِبُ منحصر في الأئمة الاثني عشر من نسل فاطمة الزهراء، ولكن في غيبة الإمام المعصوم، وبينما كان كثير من الشيعة يقولون بعدم مشروعية أية حكومة، كان بعض الفقهاء الشيعة ومن بينهم الخميني، يدافعون عن أن هذه الوظيفة تُوكَل أثناء غيبة الإمام إلى الفقيه الجامع للشرائط. واستنادًا إلى النصوص والأحاديث والروايات قام الخميني بطرح حكومة ولاية الفقيه[7]. ويمكن لهذا النموذج أن يجد وجوه تشابه مع النموذج السني الذي يقترحه الإخوان، فالحاكم لدى الطرفين من غير المعصومين، ولكنه ممن يمتلكون المعرفة بالشأن السياسي والذين يسعون إلى توطيد دعائم الشريعة في المجتمع[8].

وإن كانت إيران قد بنت نموذجها وفق هذه الرؤية، ورغم التقاطعات مع فكر الإخوان المسلمين، إلا أن النتائج تكشف أن الطروحات الإيرانية فيما يتعلق بالنموذج لا تجد الاستحسان داخل صفوف النخبة الإخوانية؛ حيث إن غالبية كبيرة، ٩٨٪، يعتقدون أن إيران لا تمثِّل نموذجًا يُحتذَى في الحكم، في حين يعتقد ٢٪ من المستجيبين فقط أنها كذلك. وتبعًا لذلك، رأى ٨٦٪ من المستجيبين أن إيران بلد غير ديمقراطي، و١٣٪ أنها بلد ديمقراطي إلى حدٍّ ما، فيما قال ٢٪ من المستجيبين: إنها بلد ديمقراطي.

- ولاية الفقيه وتسيير الاقتصاد: في تقييمهم لدور نظام ولاية الفقيه وطريقته في إدارة الاقتصاد

الدولة في الفكر السياسي لحسن البنَّا)، فصلية العلوم السياسية، خريف ١٣٨١ ش، العدد ١٩، ص.ص٨٣- ١٠٢، ص٩٧- ٩٨.

(١) يحيى فوزي و پهروز پايات، مقايسه تطبيقي اشتراكات و افتراقات انديشه سياسي جنبش اسلامي سني اخوان المسلمين در مصر و جنبش اسلامي شيعي در ايران، (مقارنة تطبيقية للقواسم السياسية المشتركة والاختلاف بين حركة الإخوان المسلمين السنية في مصر والحركة الشيعية الإسلامية في إيران)، مجلة اخبار شيعيان (أخبار الشيعة)، العدد ٣٦ شتاء ٢٠١٢، ص.ص ٧١- ١٠٠، ص ٧٩.

(٢) عباس خامه يار، تأثير انقلاب اسلامي ايران بر جنبش اخوان المسلمين (تأثير الثورة الإسلامية على حركة الإخوان المسلمين)، (رسالة ماجستير)، جامعة طهران، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ١٣٧١، ص ١٨٣.

(٣) حسن الهضيبي (١٨٩١- ١٩٧٣)، مستشار وقاض، شغل منصب المرشد الثاني للإخوان المسلمين، ويوصف بأنه «المرشد الممتحَن»؛ لأنه تولى أمر الجماعة في فترة حرجة من تاريخها شهدت العلاقات مع ضباط الثورة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر، وهي الفترة التي قُتل فيها مئات من شباب الإخوان في معتقلات الواحات والسجن الحربي من جرَّاء التعذيب حيث كان النظام يأمل في ذلك الوقت أن يصفِّي جماعة الإخوان المسلمين بالقوة (ويكيبيديا، وموسوعة الإخوان).

(٤) علي اكبر عليخاني و همكاران، انديشه سياسي در جهان اسلام (الفكر السياسي في العالم الإسلامي)، پژوهشگاه علوم انساني، فرهنگ و مطالعات اجتماعي(تهران، ١٣٨٤)، ص.ص ٤١٨- ٤١٧.

(٥) الهضيبي، حسن، دعاة لا قضاة، (دار التوزيع والنشر الإسلامية، =

القاهرة، ١٩٧٧)، ص ٨٠.

(٦) يحيى فوزي و پهروز پايات، مرجع سابق، ص ٨١.

(٧) امام خميني، ولايت فقيه، «حكومت اسلامي»، أمير كبير، (تهران، ١٣٦٠)، ص ٣٢.

(٨) يحيى فوزي و پهروز پايات، مرجع سابق، ص ٨١.

كشفت النتائج أن ٧٢٪ من المستجيبين يحملون نظرة سلبية تجاه ذلك؛ إذ قال ٤٤٪ منهم إنه سلبي بدرجة عالية، وقال ٢٨٪ إنه سلبي إلى حدٍّ ما، فيما قال ١٦٪ إنه إيجابي (٤٪ إيجابي بدرجة عالية، و١٢٪ إيجابي إلى حدٍّ ما)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١١٪.

- ولاية الفقيه وإدارة الصراع مع العالم العربي: أظهرت النتائج أن ٩١٪ من المستجيبين من هذه الفئة، يقيِّمون دور نظام ولاية الفقيه في إدارة الصراع مع العالم العربي بأنه دور سلبي (بدرجة عالية ٧٢٪، وسلبي إلى حدٍّ ما ١٩٪). فيما بلغت نسبة من يرون أنه دور إيجابي ٥٪ (بدرجة عالية ٢٪، وإيجابي إلى حدٍّ ما ٣٪)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.

- ولاية الفقيه وتقديم إيران كنموذج: سجَّلت النتائج تقييمًا سلبيًّا لهذه الفئة من النخبة العربية على هذا الصعيد، وبلغت نسبة ذلك ٩١٪ من مجموع المستجيبين (٧٦٪ سلبي بدرجة عالية، و١٥٪ سلبي إلى حدٍّ ما)، فيما رأى ٦٪ فقط أنه دور إيجابي (٢٪ إيجابي بدرجة عالية، و٤٪ إيجابي إلى حدٍّ ما)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٤٪.

إيران وثورات «الربيع العربي»

كشفت النتائج أن الأغلبية من ذوي التوجهات الحزبية الإسلامية القريبة من فكر جماعة الإخوان المسلمين، تقيِّم الموقف الإيراني من خلال سياسات إيران في سوريا والعراق، كما أنه يمكن القول: إن الموقف من الثورة في سوريا على وجه الخصوص وموقف إيران من الثورات العربية عمومًا، تمثِّل أسبابًا مهمة في موقفها السلبي من إيران.

وأوضحت النتائج أن ٩٠٪ من المستجيبين ضمن هذه الفئة، يرون أن مواقف إيران من ثورات الربيع العربي كانت سلبية (٦٦٪ سلبية جدًّا، و٢٤٪ سلبية إلى حدٍّ ما)، مقابل ٧٪ فقط يرون أنها إيجابية (١٪ إيجابية جدًّا، و٦٪ إيجابية إلى حدٍّ ما)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.

واعتمد الاستطلاع في معرفة الأسباب أسلوب السؤال المفتوح ولم يحدِّد الإجابات مسبقًا، وجاءت أسباب الـ(٩٠٪) الذين قيَّموا موقفها بالسلبي كالتالي:

- تدخَّلت سياسيًّا وعسكريًّا لدعم الاستبداد وإفشال الثورة بنسبة ٤٠٪.
- تعاملت بانتهازية ورجَّحت مصالحها بنسبة ٢١٪.
- اعتبرت الربيع العربي مهدِّدًا لمشروعها بنسبة ١٤٪.
- حاولت توظيف الثورات العربية خدمة لأهدافها بنسبة ١١٪.
- أجَّجت من الصراع الطائفي بنسبة ٤٪.
- أيَّدت بعض الثورات وعارضت بعضها ٢٪.

أمَّا الفئة التي قيَّمت موقفها بالإيجابي وكانت نسبتها ٧٪؛ فكانت أسبابها:

- دعمت التغيير وعزَّزت الخطاب الثوري في الوطن العربي بنسبة ٤٥٪.
- أيَّدت بعض الثورات وعارضت بعضها بنسبة ٤٥٪.
- رفض الإجابة ٩٪.

كشفت النتائج أن السياسة التي انتهجتها إيران تجاه ثورات «الربيع العربي» تركت تأثيرًا سلبيًّا على صورتها لدى النخبة العربية؛ إذ قالت أغلبية كبيرة، ٩٣٪ من المستجيبين: إن صورة إيران أصبحت أسوأ مما كانت عليه قبل «الربيع العربي»، في مقابل ١٪ فقط يعتقدون أن صورتها أصبحت أفضل مما كانت عليه، و٦٪ منهم أبقوا صورتها كما كانت عليه.

تقييم الحالة في سوريا

شكَّلت سوريا، ومنذ أحداث مدينة حماه وحتى الثورة السورية ضد نظام عائلة الأسد، نقطة خلاف جوهرية بين الإخوان المسلمين وإيران. وفيما يتعلق برؤية هذه الفئة لارتباط المصالح الإيرانية في سوريا بنظام بشار الأسد، أيدت غالبية كبيرة وصلت إلى ٩٤٪ مقولة: «إن سقوط نظام بشار الأسد يهدِّد المصالح الإيرانية في المنطقة»، فيما عارض ذلك ٦٪.

ويشكِّل توصيف الحالة القائمة في سوريا اليوم جانبًا من الخلاف، فبينما تصفها إيران بالتدخل الخارجي والحرب بالوكالة والعمالة للخارج، تراها جماعة الإخوان ثورة شعبية ضد النظام.

واختبر الاستطلاع موقف النخبة داخل الإخوان المسلمين من التدخل الإيراني في ثلاث ساحات عربية بمبرر الحفاظ على مصالحها وأمنها القومي. وجاءت النتيجة في غالبيتها العظمى برفض هذا التدخل، وتفصلّها كالآتي:

- سوريا: عارض ٩٢٪ من المستجيبين التدخل الإيراني في سوريا بذريعة المصالح والأمن القومي (٨٠٪ أعارض بشدة، و١٢٪ أعارض)، فيما أيَّد هذا التدخل ٧٪ (٢٪ أؤيد بشدة، و٥٪ أؤيد)، ورفض ١٪ الإجابة.

- اليمن: عارض ٩٢٪ من المستجيبين التدخل الإيراني في اليمن (٨١٪ أعارض بشدة، و١١٪ أعارض)، في مقابل ٧٪ أيَّدوا ذلك (أؤيد بشدة ١٪، وأؤيد ٦٪)، ورفض ١٪ منهم الإجابة.

- العراق: عارضت نسبة كبيرة وصلت إلى ٩١٪ من المستجيبين التدخل الإيراني في العراق (أعارض بشدة ٧٩٪، وأعارض ١٢٪)، وأيَّد هذا التدخل ٨٪ (٢٪ أؤيد بشدة، و٦ ٪ أؤيد)، ورفض ١٪ الإجابة.

الدور الإيراني والتقارب مع الولايات المتحدة الأميركية

- الدور الإيراني والمصالح العربية: قدمت النخبة العربية ذات التوجه الإسلامي المنضوي تحت راية الإخوان المسلمين، تقييمًا للدور الإيراني في المنطقة خلال السنوات العشر الماضية من منظور المصالح العربية، وبيَّنت النتائج أن ٨١٪ من المستجيبين يرون أنه دور سلبي يهدِّد المصالح العربية، في مقابل ١٧٪ منهم رأوا أنه دور خليط يحوي جوانب إيجابية وسلبية، و١٪ فقط يعتقدون أنه دور إيجابي يراعي المصالح العربية، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة أو لم يُبدوا رأيًا ١٪.

- التقارب الإيراني- الأميركي: أظهرت النتائج معارضةً تجاه التقارب الإيراني- الأميركي؛ إذ عارضه ٦٣٪ منهم، وأيَّده ٢٦٪ من المستجيبين، وبلغت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٠٪.

- مخاوف التقارب: قال ٨٧٪ من المستجيبين «إن لديهم مخاوف من هذا التقارب» (٦٢٪ لديهم العديد من المخاوف، و٢٥٪ لديهم بعض المخاوف)، فيما قال ١٠٪ إنه ليس لديهم أية مخاوف على هذا الصعيد، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة أو لم يبدوا رأيًا ٣٪.

- أهم المخاوف: اعتمد الاستطلاع في هذا السؤال على أسلوب السؤال المفتوح، دون تحديد أية إجابات مسبقًا، وبيَّن المستجيبون مخاوفهم بالشكل التالي:

- زيادة الهيمنة الإيرانية على المنطقة ٢٩٪.
- إطلاق يد إيران بوصفها شرطي المنطقة ٢٤٪.
- صفقة لتبادل المصالح بين واشنطن وطهران على حساب الدول العربية ١٦٪.
- تهديد الأمن القومي العربي ١٢٪.
- تقسيم المنطقة وتمزيق العالم الإسلامي ١١٪.
- تأجيج الصراع المذهبي والطائفي ٦٪.
- رفض الإجابة ١٪.

الاتفاق النووي

- المكانة الإقليمية: توقَّع ٩٤٪ من المستجيبين ضمن هذه الفئة أن يعزِّز امتلاك إيران للتقنية النووية من مكانتها الإقليمية، فيما توقَّع ٦٪ أن لا يترك ذلك أي تأثير. وأبدى ٨٢٪ من المستجيبين ضمن هذه الفئة قلقًا تجاه بروز إيران كقوة إقليمية عقب الاتفاق النووي، فيما لم يُبدِ ١٧٪ منهم قلقًا تجاه هذه المسألة، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة ١٪. وعبَّر ٨٨٪ من المستجيبين عن تخوفهم من اتساع رقعة النفوذ الإيراني عقب الاتفاق النووي، فيما ذكر ١٢٪ منهم أن لا مخاوف لديهم تجاه ذلك.

- المواجهات الطائفية: عبَّرت غالبية كبيرة، ٩٥٪، عن مخاوفها من اتساع رقعة المواجهات الطائفية بين السنَّة والشيعة عقب الاتفاق النووي، فيما أجاب ٤٪ منهم فقط بأن لا مخاوف لديهم بهذا الخصوص، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- تهديد الأمن القومي العربي: وفي هذا المجال نجد أن المخاوف موجودة لدى الغالبية العظمى من هذه الفئة؛ حيث اعتبر ٩١٪ من المستجيبين أن ذلك يمثِّل تهديدًا للأمن القومي العربي مقابل ٨٪ منهم لا يوجد لديهم مخاوف، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو

رفضوا الإجابة ١٪.

- حرب بين العرب وإيران: بيَّنت النتائج أن نسبة عالية، ٦٩٪، متخوفة من دخول المنطقة في حرب بين العرب وإيران، مقابل ٣٠٪ لا يرون أن ذلك مصدر قلق، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- مقدرة إيران الاقتصادية: تخوَّف ٧٥٪ من المستجيبين من احتمالات تعاظم مقدرة إيران الاقتصادية عقب توقيع الاتفاق، فيما لا يحمل ٢٥٪ منهم أية مخاوف بهذا الاتجاه.

مستقبل العلاقات العربية- الإيرانية

لا تنظر النخبة من ذوي التوجه الإسلامي المرتبط بفكر الإخوان المسلمين بتفاؤل إلى مستقبل العلاقات العربية- الإيرانية، وترى أنها تتجه إلى مزيد من التوتر، لكنها تقول بوجود كثير من العناصر المشتركة والموحدة.

- الجغرافيا: تعتقد نسبة تصل إلى ٧٥٪ أن الجغرافيا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ٣٦٪، متوسطة ٢٦٪، قليلة ١٣٪)، فيما يعتقد ٢٥٪ منهم أنها لا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق.

- الدِّين الإسلامي: كذلك الحال بالنسبة للدين الإسلامي إذ تعتقد نسبة تصل إلى ٧٥٪ من المستجيبين أن الدِّين الإسلامي يمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ٣٤٪، متوسطة ٢١٪، قليلة ٢٠٪)، فيما يعتقد ٢٥٪ منهم أنه لا يمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق.

- التاريخ المشترك: تعتقد نسبة تصل إلى ٧١٪ من المستجيبين أن التاريخ المشترك يمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ٢٣٪، متوسطة ٢٥٪، قليلة ٢٣٪)، فيما يعتقد ٢٩٪ منهم أنه لا يمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق.

- العادات والتقاليد: ترى نسبة تصل إلى ٦٦٪ من المستجيبين أن العادات والتقاليد الاجتماعية تمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ١٠٪، متوسطة ٢٨٪، قليلة ٢٨٪)، فيما يعتقد ٣٢٪ منهم أنها لا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.

- التحديات الخارجية: تعتقد نسبة تصل إلى ٦٣٪ من المستجيبين أن التحديات الخارجية تمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ١٤٪، متوسطة ٢٨٪، قليلة ٢١٪)، فيما يرى ٣٧٪ منهم أنها لا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق.

- المصالح المشتركة: تعتقد نسبة تصل إلى ٧٢٪ من المستجيبين أن المصالح المشتركة تمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ٢١٪، متوسطة ٣٠٪، قليلة ٢١٪)، فيما يرى ٢٦٪ منهم أنها لا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

تداعيات الخلافات العربية- الإيرانية

- الصراع الطائفي: كشفت النتائج عن أن ٩٩٪ من المستجيبين ضمن هذه الفئة، يعتقدون أن الخلافات العربية- الإيرانية تعزِّز من حالة الصراع الطائفي (إلى حدٍّ كبير ٩٠٪، إلى حدٍّ ما ٩٪)، ولا يرى ١٪ فقط أنها تؤثِّر.

- الصراع مع الكيان الصهيوني: بيَّنت النتائج أن غالبية كبيرة، ٩٤٪، من المستجيبين تعتقد أن الخلافات العربية- الإيرانية تؤثِّر لصالح إسرائيل (بدرجة عالية ٧٧٪، ونوعًا ما لصالح ١٧٪)، وقال ٦٪ فقط: إنها لا تؤثِّر.

- مواجهة إيران عسكريًّا: عارض ٦٩٪ من المستجيبين مطالبَة البعض بعمل عسكري من قِبل دول الخليج ضد إيران (أعارض ٣٦٪، وأعارض بشدة ٣٣٪)، فيما أيَّد هذه المطالبة ٣٠٪ منهم، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

التهديد الأكبر

ولقياس هذه القضية جرى توجيه سؤال مفتوح للمستجيبين عن الدولة التي يعتقدون أنها تمثِّل التهديد الأكبر للوطن العربي. وأظهرت النتائج أن «إسرائيل» تمثِّل التهديد الأول للوطن العربي بنسبة وصلت إلى ٥٢٪، تلتها إيران بنسبة ٣٩٪ (بنسبة تجاوزت موقف النخبة العربية عمومًا والتي وصل نسبة التهديد الإيراني لديها إلى ٢٣٪)، وتساوت الولايات المتحدة الأميركية والأنظمة العربية الحاكمة بنسبة ٢٪

لكـل منهمـا، ثـم قـوى إقليميـة ودوليـة ١٪، وكانـت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٤٪.

خلاصات ونتائج

• علـى الـرغم مـن العلاقـة التاريخيـة بـين إيـران والإخـوان المسلمين، واتفاقهمـا تجـاه الكـثير مـن القـضايا وخاصـة في تحديـد معـسكر الأصـدقاء والأعداء والموقـف مـن القـضية الفلـسطينية إلا أن ثـورات الربيـع العربـي، ألقـت بظلالهـا علـى هـذه العلاقـة، وأوجدت نقـاط خـلاف جوهريـة تعطـي العلاقـة منحنـى جديدًا، فيـه مـن الافتراق الكـثير، وهـو مـا تُظهره نتـائج هـذا الاسـتطلاع بـصورة واضـحة. ولعـل أبـرز مـا تقولـه هـذه النتـائج: إن الإخـوان المـسلمين يعتقـدون أن إيـران وقفـت بـسلبية عاليـة تجـاه الثـورات العربيـة ولعبـت دورًا في إجهاضها، عبر دعم النظام المستبد في سوريا.

• يعتقـد الإخـوان المـسلمون في هـذا الاسـتطلاع أن الـسياسات الإيرانيـة تتحمَّـل جـزءًا كـبيرًا مـن مـسؤولية وتـوتر العلاقـات العربيـة- الإيرانيـة، وأن التـدخل الإيرانـي في الـوطني العربـي يمثِّـل أهـم مـشكلة تواجـه العلاقات بين الجانبين.

• أحـدث الموقـف مـن الثـورة الـسورية وتأييـد إيـران لبـشار الأسـد، شـرخًا في علاقـة إيـران بـإخوان مـصر، وهـي العلاقـة الـتي كانـت إيـران تعـوِّل عليهـا، كـثيرًا، وبـدت آثـار هـذا الـشرخ واضـحة في الطريقـة الـتي تعاملـت بهـا إيـران مـع الانقـلاب العـسكري في مـصر وإسـقاط حكومة مرسي.

• كانـت إيـران تتوقـع أن تـشكِّل كـ«نظـام حكـم» نموذجًـا يُحتـذى مـن قِبـل إسـلاميي مـصر وتـونس، خاصـة مـع نقـاط التـشابه الكـبيرة فيمـا يتعلق بـالحكم الإسـلامي داخـل المنـتج الفكـري لمنظِّـري الجـانبين، لكـن ذلـك جـرى رفـضه بـصورة واضـحة أزعجـت إيـران الـتي تظـن أن نموذجهـا هـو «الأصـلح» للمجتمعـات الإسـلامية. وتُظهـر النتـائج أن نخبـة الإخـوان المـسلمين تـرفض بـصورة كـبيرة النمـوذج الإيرانـي، وتـرى أن إيـران قدَّمت نموذجها لـ«الديمقراطية الدينية» بسلبية عالية.

• وهـذا الافـتراق أجهـض الأمـل الإيرانـي الـذي كـان يـرى أن المـساحة الواسـعة المـشتركة بـين الـرؤيتين وخاصـة (الخمـيني وحـسن البنَّـا) تـصلح لـرصِّ جمـوع الأمـة في الـسعي نحـو وحـدة إسـلامية؛ إذ إن نخبـة الإخـوان تـرى أن الحـضور الإيرانـي بـات حـضورًا مـصلحيًّا مُهـدِّدًا للمـصالح العربيـة، ويـشمل ذلـك العنـوان الأبرز وهو القضية الفلسطينية.

• لم تعـد إيـران في صـيغتها الحاليـة تـشكِّل الأفـق المرجـوَّ لإحـداث التغـيير في العـالم الإسـلامي، بعـد أن كان الإسلاميون مأخوذين ببُعدها ومقدرتها التغييرية.

• دخلـت إيـران في قائمـة الـدول المهـدِّدة للـوطن العربـي، وهـي الـتي كانـت مستبعَدة مـن هـذه القائمـة في فكـر الإخـوان وممارسـاتهم. وأبـدت النخبـة داخـل الإخـوان في هـذا الاسـتطلاع مخـاوف عديـدة مـن اتـساع رقعـة النفـوذ الإيرانيـة والتقـارب الإيرانـي- الأميركـي عقـب الاتفـاق النـووي ورأت أنـه يـأتي علـى حـساب المصالح العربية.

• ورغـم هـذا الافـتراق الواضـح الـذي تعكـسه النتـائج فيمـا يتعلـق بتوجهـات النخـب داخـل الإخـوان المـسلمين نحـو إيـران، إلا أنهـا تُظهـر أيـضًا الرغبـة في تجـسير الهـوة، وتعكـس وعيًـا بخطـورة الخـلاف علـى الحالـة الطائفيـة والـصراع بـين الـسُّنَّة والـشيعة، فـضلًا عن الصراع مع الكيان الصهيوني.

خطاب مفتوح
إلى المفوض السامي للأمم المتحدة

أنور عبد الرحمن - أخبار الخليج ٢٠١٦/١٠/٢٤

من الواضـح اليـوم أن الأمـم المتحـدة أصبحت هـي نفـسها مـن أكـبر المـشاكل الـتي يعـاني منهـا العـالم، بـدلا مـن أن تكـون أداةً لحـل هـذه المـشاكل، وأصـبحت هـي نفـسها مـصدر تهديـد للـدول بـدلا مـن أن تحميها.

يكفـي هنـا - مثـالا علـى ذلـك- أن نتأمـل التقريـر الـذي نـشرناه في الـصفحة الأولى أمـس وتـضمن التـصريحات الـتي أدلى بهـا مـسئول كـبير في الأمـم المتحـدة، وكـشف فيهـا أن وكـالات الأمـم المتحـدة في البحـرين لا يـتم استـشارتها علـى الإطـلاق أو أخـذ رأيهـا قبـل أن تـصدر المنظمـة الدوليـة تقاريرهـا الـتي تنتقـد فيهـا سجل حقوق الإنسان في البحرين.

هذا الذي كشف عنه أمر شنيع حقا.

السؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا هو: إذا كان الأمر هو على هذا النحو، فلماذا إذن تحرص الأمم المتحدة على أن يكون لها مكتب في البحرين، وما جدواه بالضبط؟ وهل وجود المكتب هو للمظهر والاستعراض فقط؟

يعلم كل القراء أن الدول تعين سفراء في أي عاصمة من عواصم العالم لكي يقوموا بمهام محددة، في مقدمتها أن يرسلوا تقارير، يفترض أن تكون موضوعية ونزيهة، عن الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلد الذي يعملون فيه، وعن أي تطور أو موقف معين.

وفي بعض الأحيان، تستدعي الحكومات السفراء لكي تناقشهم ويقدموا تحليلا أكثر عمقا لتقاريرهم في حالة القضايا المهمة، أو إذا كانت تقاريرهم موضع شك أو جدل.

على ضوء هذا، من الخطير جدا، والشنيع حقا، أن يكون هذا هو ما تفعله الأمم المتحدة، وما يفعله بالذات المفوض السامي لحقوق الإنسان في جنيف. من الخطير والشنيع ألا يحرصوا على الحصول على أي معلومات أو نصائح من مكاتبهم وممثليهم في البحرين.

كل البعثات الأجنبية في البحرين تعرف، والعالم كله يعرف، أن جلالة الملك وبمبادرة من جلالته أقدم على خطوة غير مسبوقة حين قرر تشكيل لجنة تقصي الحقائق في الأحداث التي شهدتها البحرين عام ٢٠١١. وهذه اللجنة قامت بتحقيقها على أوسع نطاق، ولم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا حققت فيها وبحثتها، وبعد ذلك أصدرت تقريرها وتوصياتها بشكل محايد، من دون أي تدخل من حكومة البحرين. وهي التوصيات التي قامت الحكومة بتنفيذها بالفعل.

ونحن في الصحافة الوطنية لطالما اعتقدنا أن مكتب الأمم المتحدة في المنامة يقوم بشكل يومي بمتابعة التطورات والأحداث، ويكتب عنها تقارير، سواء كانت سلبية او إيجابية. ولكن أن نكتشف اليوم، من خلال ما قاله هذا المسؤول الكبير، أن هذا المكتب والعاملين فيه ليس لهم أي دور على الإطلاق، لا في جمع المعلومات ولا في تقييمها، ولا يقدمون حتى أي تقارير عنها، فهذا أمر مذهل حقا يتجاوز حدود أي منطق.

إذن، من حقنا أن نتساءل: من أين يحصل المفوض السامي لحقوق الإنسان على المعلومات التي يكتب تقاريره عن حقوق الإنسان في البحرين بناء عليها؟ وهي التقارير التي ثبت أنها مضللة ومغلوطة وتشوه سمعة البحرين في الخارج، وتلحق أشد الأذى باقتصادها؟

هل لنا أن نفترض أن المفوض السامي يحصل على هذه المعلومات الكاذبة المضللة فقط من شخصيات المعارضة الأيديولوجية، الذين حصل كثير منهم على حق اللجوء السياسي في عديد من الدول؟

الكل يعلم أن هؤلاء مهمتهم الوحيدة هي ترديد الأكاذيب التي تخدم أجندتهم المشبوهة، والعمل على تزييف حقيقة الأوضاع وتشويه صورة البحرين أمام العالم.

الذي قاله منسق الأمم المتحدة في البحرين كارثي حقا. قال نصا: «ليست لنا أي اتصالات مباشرة؛ لأن مجلس حقوق الإنسان لديه أجهزة وهيئات أخرى تعمل بشكل مستقل عنا». واعترف أيضا بأنه «وفقا للآلية التي يعمل بها مجلس حقوق الإنسان، فإنه لا يتم استشارة هيئات الأمم المتحدة الموجودة في أي بلد».

إننا نعرف أن الأمم المتحدة منظمة ضعيفة، وأنها تتعامل بلا مبالاة وعدم اكتراث مع عديد من القضايا الحيوية الحاسمة. لكننا لم نتخيل أبدا أن تكون قد وصلت إلى هذا الحد من عدم الإحساس بالمسئولية. وبالنسبة إلى البحرين، فإن نتائج وتبعات انعدام الإحساس بالمسئولية على هذا النحو خطيرة ومدمرة.

إننا نرى أن من واجبنا أن نطلب من المفوض السامي أن يقدم تفسيرا لهذه الحقائق الكارثية التي كشفها مسئولهم المعين في البحرين.

وعلى الرغم من أننا لا نعيش في عالم مثالي، فإننا نأمل ألا تتم معاقبة مسئول الأمم المتحدة الذي كشف هذه الحقائق، أو التفكير في عزله من

منصبه، بل بالعكس، يجب مكافأته على صراحته ونزاهته.

إننا نقول للمفوض السامي:

يا سيادة المفوض.. إن الأمم المتحدة يجب أن تكون هي العش الهادئ الآمن للبشرية، لا أن تكون وكرا للجوارح الكاسرة المفترسة.

ونحن في انتظار ردك الرسمي.

(داعش وزراعة الفوضى في أفغانستان) الحلقة الأولى من سلسلة (رياح السموم... من بلاد العرب إلى بلاد الأفغان)

أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) – موقع الإسلاميون ٢٠١٦/٩/٢٩

في خطوة نادرة الحدوث، ظهر إلى العلن الخلاف العميق بين حركة طالبان وتنظيم داعش. وفي العادة لا تظهر حركة طالبان تلك الخلافات إلى العلن طالما وجدت سبيلا للدبلوماسية السرية والتناصح (بصوت منخفض جدا) حرصاً على وحدة الصف الإسلامي، وعدم جرح مشاعر أحد.

ولكن قبل فترة وجيزة من الإعلان عن وفاة أمير المؤمنين الملا عمر جاءت نصيحة مكتوبة ومنشورة على موقع الإمارة الإسلامية، وبعدة لغات.

وكانت الدماء قد سالت على الأرض الأفغانية منذ زمن بدون أن يسمع عنها أحد، حتى أشتهر أمرها عبر إعلام داعش الأفغاني الذى وسع من تفجيراته المعهودة ضد الأهالي والأهداف المدنية، إضافة إلى أحكامه «الدينية» التي لا يوافقه عليها أحد.

لكن ذلك لا يمنعه من ضرب الركاب وحرق الأحياء وتعذيب المختطفين وانتهاك كل المحرمات، حتى وصفهم أحد الشخصيات الإعلامية والسياسية من حركة طالبان بأن (هؤلاء الدواعش ليسوا مجاهدين ولا حتى مسلمين، وبهم من الدناءة ما يكفي لكشف هويتهم الحقيقية). وكان ذلك الإعلامي المؤرخ يعبر عن عدم رضاه عن تلك الرسالة المفتوحة التي وجهتها الإمارة الإسلامية إلى داعش وما حوته من مجاملات وعبارات مديح سبقت ذكر الاعتراضات مع تهديد مبطن موجه إلى داعش وتحركها التدميري في أفغانستان.

وترى الإمارة أن تحرك داعش يهدر جهاد أربعة عشر عاما خاضها الشعب الأفغاني بنجاح تحت قيادة حركة طالبان. وكأن داعش جاءت الآن خصيصا لإنقاذ الأمريكيين من ورطتهم في ذلك البلد.

وحسب الشهود فإن الدواعش تلقوا دعما جويا من الطائرات بدون طيار أثناء قتالهم ضد مجاهدي حركة طالبان في ولاية ننجرهار، كما تلقوا أيضا «إسنادا كاملا» من الجيش الباكستاني. وباكستان قدمت خدمات لوجستية للدواعش إلى جانب اغتيال المخابرات الباكستانية لحاكم ولاية ننجرهار الحدودية والمعين من قبل حركة طالبان.

عدد كبير من الدواعش قدموا إلى أفغانستان من المنشقين عن حركة طالبان الباكستانية، ويعتقد أهالي المنطقة أنهم مجرد رعاع «بلطجية» قدموا من مناطق باكستان القبلية وتديرهم المخابرات الباكستانية ضمن مخطط تدميري مشترك مع الأمريكيين وحكومة كابل لإغراق البلاد في فوضى ومنع أفغانستان من النهوض مرة أخرى على أسس إسلامية صحيحة، لتكون عضوا طبيعيا ضمن دول آسيا القوية والناهضة.

رافد بشرى آخر لداعش أفغانستان جاء من الجماعة الإسلامية الأوزبكية، بعد استشهاد مؤسسها محمد طاهر، الذي كان مقاوما للتأثيرات السلفية الوهابية على مجموعته. هؤلاء الأوزبك كانوا واقعين تحت ملاحقة خاصة من الجيش الباكستاني والطيران الأمريكي، فقتل عدد كبير من رجالهم لدرجة أن بعض تجمعاتهم خلت من الرجال ولم يتبق سوى نساء وأطفال. فساعدتهم الإمارة الإسلامية في أفغانستان وقدمت لهم حركة طالبان مأوى في عدة مناطق من البلاد وكعادة التنظيمات المسلحة، ما أن شعروا بالأمان حتى شرعوا في ضرب المجتمع الذى آواهم، فبدأوا كالعادة أيضا بتكفير كل من حولهم من بشر، ثم بتفجير كل ما يمكن تفجيره، مع

تمويل أنفسهم بعمليات الاختطاف وطلب الفدية، إلى جانب العمليات الدعائية مثل قتل المسافرين الشيعة على الطرقات وفى وسائل النقل الخاصة والعامة، وتفجير المزارات والبنوك مع روادها من زبائن وموظفين، ثم اختلاق المبررات الشرعية لاتخاذ سبايا من «المشركين والكفار» أي كل من هو ليس بداعشي من المحيط السكاني.

رسالة طالبان إلى داعش جاءت بتوقيع «ملا آختر منصور» كمساعد لزعيم حركة طالبان، ورئيس اللجنة السياسية (وأمير المؤمنين في وقت لاحق بعد وقت قصير من إصدار تلك الرسالة). ونشرت الرسالة على مواقع الإمارة الإسلامية بعدة لغات بما فيها العربية والأوردية والفارسية. وفى ذلك ظهور كامل إلى العلن لخلاف طال التكتم عليه وغابت معظم تفاصيله حتى عن معظم المتابعين.

القسم الخاص بالمجاملات في تلك الرسالة يحتاج إلى بحث خاص لعدة اعتبارات سيأتي ذكرها في الموضع المناسب. أما القسم الخاص بالتحذيرات المؤكدة حول خطورة تحركات داعش على حاضر أفغانستان وجهاد شعبها ضد الاحتلال فيشغل معظم الرسالة التي تنتهي بتحذير واضح في سطورها الأخيرة حيث تشير إلى أن (دفاعا عن مكتسباتها وانتصاراتها التي حققتها بعد تقديم تضحيات هائلة قد تضطر الإمارة إلى رد فعل مناسب). وتلك هي أقوى عبارات البيان العلني وفيها القول الفصل الذي تدور حلقاته على أرض أفغانستان.

بيان صدر باسم الملا محمد عمر قبل الإعلان الرسمي عن وفاته، وفيه تحذيرا أقوى وأشد حسما باستخدام القوة من الآن فصاعدا ضد عدوان داعش على مجاهدي أفغانستان وشعبها، فيقول البيان: (ولذلك أصدرنا الأوامر لجميع مجاهدينا بإحكام وحدة الصف، وأن يسدوا بقوة طريق كل من يقوم بإيجاد الخلافات، ويدمر هذا الصف الجهادي، ويسعى لتفريق المجاهدين).

وبهذا حسمت أفغانستان موقفها إزاء داعش وأعمالها العدوانية وتفريقها لصفوف الأفغان، بالتصدي لداعش / حسب ما هو واضح من تصريحات طالبان/ بالنصيحة والموعظة ثم بالسلاح إذا حاولت المضي قدما في غيها.

تقول حركة طالبان أنها سيطرت على الموقف في إقليم ننجرهار شرق أفغانستان، رغم الدعم الأمريكي والباكستاني للدواعش. وكذلك هو الوضع في غرب أفغانستان وتحديدا في إقليم «فراة»، الذى أصبح هو الآخر تحت السيطرة، فتم إخماد فتنة الدواعش وطردهم من تلك الولاية. وتتداول أوساط إعلامية من خارج حركة طالبان أن هناك جيوبا لداعش في شمال أفغانستان، وأن لديهم معسكرات تدريب أيضا.

الرؤية الاستراتيجية لحركة طالبان ترى أن فتنة داعش في أفغانستان هي مصيدة أمريكية نصبها الاحتلال لحركة طالبان لاستنزاف جهودها وشغلها عن مقاومة الاحتلال ونظامه الفاسد في كابول. في مقابل ذلك تتفادى الإمارة قدر الإمكان المواجهات المسلحة المباشرة مع الدواعش، وتترك مهمة طردهم للعلماء وزعماء القبائل الذين ينشرون بين الناس الوعي بخطورة معتقداتهم الدينية وآرائهم المخالفة لآراء العلماء الأحناف في أفغانستان. وقد انتشر الوعي بين الشعب الأفغاني بحقيقة الدواعش وسوء أخلاقهم طبقا لشهادة كاتب من حركة طالبان.

من دلائل نجاح سياسة طالبان في مكافحة داعش ليس فقط تطهير المناطق الحساسة منهم، خاصة في أقاليم الشرق والغرب، ولكن أيضا فرار الأسماء المشهورة من الذين ارتبطوا بداعش سابقا، واختفاؤهم من بين صفوفه وفى نهاية المطاف وعند الضرورة تستخدم البندقية بقدر الحاجة إليها، دفاعا عن وحدة الشعب المجاهد ووحدة صفوف المجاهدين. لهذا تعتبر حركة طالبان أن (إيجاد أي جماعة أو صف آخر في مقابل صفها عملا مخالفا لمصالح الإسلام والجهاد والمجاهدين) حسب البيان الصادر عن اللجنة السياسية الذى دعا تنظيم داعش إلى عدم التدخل في شئون أفغانستان وحركة طالبان، وأن يكون ذلك موقفا متبادلا بين الطرفين.

ومازالت داعش تسعى إلى شق صفوف حركة طالبان لاستقطاب من استطاعت من قياداتها وكوادرها، ولكنها حتى الآن فشلت في ذلك المسعى فشلا ذريعا حيث أن الحركة تحظى منذ بدء

نـشاطها عـام ١٩٩٤ بترابـط تنظيمـي وقيـادي لـيس لـه نظـير في أفغانـستان، أو في أي تنظـيم إسـلامي آخـر خارجهـا، علـى الـرغم مـن صـدمة وفـاة القائـد المؤسـس للحركـة الملا محمـد عمـر، وتـولى أختر منـصور القيـادة مكانــه في ملابـسات تـشي بتـدخل باكـستاني مـن العيـار الثقيـل، قـد يـصل إلى درجـة دعـم انقـلاب داخلـي وصـولا إلى تبـديل مـسار الحركـة وفقـا لمتطلبـات باكستان وليس الشعب الأفغاني.

وحتـى الآن لم تـنجح داعـش في أفغانـستان سـوى في ضـم الـذين طـردوا مـن صـفوف طالبـان بـسبب تجاوزات سلوكية خطيرة.

تجربـة جهـاد الأفغـان ضـد الـسوفييت ماثلـة بقـوة في موقـف حركـة طالبـان إزاء اختراقـات داعـش التنظيميـة، فقـد ضـاعت ثمـار ذلـك الجهـاد وتـضحيات حـوالي مليـوني شـهيد بـسبب تعـدد التنظيمـات وصـراعاتها وفـسادها، وتوظيفهـا الخونـة والمجـرمين في صـفوفها «كمجاهـدين». وذلـك مـا تحـاول داعـش تكـراره مـرة أخـرى في أفغانـستان بعـد أن أوشـكت المعركـة علـى نهايتهـا، وانـسحبت بالفعـل معظـم قـوات الاحـتلال الأمريكـي وحلفائـه، وسـيطرت حركـة طالبـان علـى أكثـر مـن ثلاثـة أربـاع الـبلاد، وهـي تكتـسب المزيـد مـن الأراضـي في كـل يـوم. في هـذا الوقت الحاسـم تظهـر داعـش بكـل دمويتهـا وفوضـويتها فيـضطرب بوجودهـا الـصف وتـدق الفـتن الأبـواب بعنـف داعـشي لم تـشهد أفغانـستان لـه مثـيلا رغـم هـول مـا شـاهدته مـن ميليـشيات إجراميـة، مثـل «جلـم جـم» الماركـسية الأوزبكيـة و» تحـالف الـشمال» الـذي تقـدم صفوف جيوش الاحتلال في نظير خمسة ملايين دولار.

جـاء اسـتدعاء الولايـات المتحـدة لميليـشيات داعـش مـن منطقـة الـشرق الأوسـط بهـدف غـزو أفغانـستان لاتخاذهـا قاعـدة عمليـات داعـشية ضـد دول المنطقـة المحيطـة بأفغانـستان، وفـي مقـدمتها الـصين وإيـران والهنـد وروسـيا وجمهوريـات آسـيا الوسـطى الـتي تمثـل الحـزام الاسـتراتيجي لروسـيا الاتحادية.

والأهـم هـو القـضاء علـى إمكانيـة بنـاء أفغانـستان إسـلامية جديـدة وعـصرية، لـصالح شـعبها كدولـة مـستقلة ذات سـيادة، علـى نفـس الأسـس الثقافيـة والدينيـة والأخلاقيـة الـتي تمـسك بهـا الـشعب الأفغـاني ودافـع عنهـا بكـل قـوة علـى مـدار التـاريخ ضـد غزوات أكبر الإمبراطوريات الاستعمارية في العالم.

التأسـيس «لفوضـى خلاقـة» في أفغانـستان هـي الـشغل الـشاغل للاحـتلال الأمريكـي منـذ لحظاتـه الأولى في ذلـك البلـد. مـدركا أن الخلافـات الداخليـة هـي أسـهل طـرق الـسيطرة وفقـا لحكمـة الاسـتعمار البريطـاني (فـرق تـسد) وهـي قاعـدة فعالـة في أفغانـستان بوجـه خـاص. لقـد اسـتخدم الاسـتعمار الأمريكـي الاختلافـات العرقيـة بـشكل فعـال، باعتمـاده علـى « تحـالف الـشمال» كقـوة ضـاربة في يـده، وإلى جـانبهم تجـار دمـاء مـن الجهـاديين «الـسنة»، مـع مـذهبيين مـن الأحـزاب المسلحة «الـشيعية»، ضـمن تنـوع سياسـي ضـم شـيوعيين سـابقين وإخـوان مـسلمين، وعمـلاء الليبراليـة المتوحـشة الجديـدة مـن الأفغـان المتجنـسين حـاملي جوازات دول الاحتلال.

حركـة طالبـان تخطـت ببراعـة، ولكـن بأثمـان غاليـة مـن دمـاء كوادرهـا، جميـع العقبـات القبليـة والحزبيـة والمذهبيـة، ونـشرت رابطـة الإسـلام الجامعـة فـوق جميـع فئـات الـشعب وبرهنـت علـى صـدقيتها في ميـدان المعـارك وسـط حـصار إقليمـي ودولـي خـانق وتجاهل إسلامي شامل.

أوشـكت الفوضـى الخلاقـة أن تنهـار وينفلـت زمامهـا في المجتمـع الأفغـاني، ومـن الآن انعكـست تأثيراتهـا الـسلبية حتـى علـى المعـسكر المـوالي للاحـتلال الـذي تفككـت مكوناتـه العرقيـة والـسياسية، مـا بـين كتلـة تحـالف الـشمال الـذى بـاع وطنـه، ويمثلـه علـى رأس الـسلطة الـرئيس التنفيـذي للدولـة «عبـد اللّه عبـد اللّه». ثـم كتلـة عـصابة الليبراليـة الجديـدة ويمثلـها الـرئيس «أشـرف غنـى» الموظـف الـسابق في البنـك الـدولي، وهـو موفـد الاحتكـارات الماليـة والاقتـصادية الطامعـة في مـصادرة ثـروات أفغانـستان الهائلـة، ويعتـبر «غنـى» موظفـا لـديها في أفغانـستان بمرتبـة رئـيس دولـة «مكـرر» بالمـشاركة مـع «عبـد اللّه» طبقـا لتقـسيم ديمـوقراطي عبقـري فرضـه فـوق أسـنة الرمـاح جـون كيري وزير الخارجية الأمريكي.

كان لابد من «دماء جديدة» لإنعاش سياسة «الفوضى الخلاقة» المترنحة على الأرض الأفغانية، فاستدعى الاحتلال الأمريكي «داعش» على عجل لا تتحمله ظروف أفغانستان. ذلك الاستعجال أتلف «الطبيخ الداعشي»، بفعل مجهودات حركة طالبان، الخبيرة بالسياسة الداخلية في أفغانستان بمقدار خبرتها في هزيمة جيوش الناتو، وبمشاركة وثيقة من العلماء وزعماء القبائل، وأخيرا ضربات رادعة من قوات طالبان عند الضرورة القصوى.

المعسكر التابع للولايات المتحدة تضرر هو نفسه من جراء سياسة (فرق تسد). وظهر أن معسكر الليبرالية المتوحشة بقيادة الرئيس «غني» يتأهب لصدام مصيري مع لوردات الحرب من «تحالف الشمال». وحتى القوات الأمريكية بدأت تشعر بأن ذلك التحالف الشمالي أخذ ينفض يده بهدوء من التحالف معها عندما رأى أنها سحبت معظم قواتها، وأن القلة الباقية (عشرة آلاف جندي أمريكي) سوف تنسحب بعد وقت ليس ببعيد، بينما قوات طالبان تواصل ضغطها، وأصبحت قوية ونشطة في العاصمة أكثر من أي وقت مضى.

من جانبهم فإن لوردات تحالف الشمال بدأوا في إحياء تحالفهم القديم والتقليدي مع كل من روسيا وإيران أكبر داعمي التحالف في مواجهة طالبان أثناء فترة حكمها الأول، فكان إحياء ذلك التحالف مبررا لتوجيه ضربة أمريكية لأحد المخازن الضخمة للأسلحة والذخائر والتي كان يخفيها أحد كبار قادة تحالف الشمال بالقرب من العاصمة.

يرى المحلل السياسي (عبد الرحيم ثاقب) أن ذلك الإجراء الاستثنائي الكبير كان بداية لصراع خفي بين الأمريكيين من جانب وبين روسيا وإيران من جانب آخر. وأن حزب الجمعية الإسلامية أحد أبرز أعمدة تحالف الشمال والذى اغتيل زعيمه برهان الدين رباني (إخوان مسلمين) عام ٢٠١١، ذلك الحزب ثارت ثائرة رموزه الكبيرة نتيجة تلك ضربة الأمريكية المفاجئة، والتي دافع عنها الجنرال «كمبل» قائد القوات الأمريكية في أفغانستان حين وصف الأسلحة بأنها «غير قانونية»، وأنها كانت تستخدم ضد قواته والقوات الأفغانية معا. وذلك دفع محللين إلى القول بأن روسيا وإيران شرعا يستخدمان تحالف الشمال حليفهما القديم ضد القوات الأمريكية. وأن الروس يرون في ذلك تعويضا عن مستنقع أوكرانيا الذى رتبته لهم الولايات المتحدة، وإضعاف مركز روسيا الجيوسياسي في الشرق الأوسط خاصة في العراق وسوريا، ناهيك عن اليمن وليبيا.

الضربات الأمريكية غير المتزنة تدل على اضطراب عقلية الاحتلال واهتزاز منظومة تحالفاته، وفقدانه السيطرة على وتيرة الضربات العسكرية. ومثال ذلك تلك الضربة الجوية بطائرات بدون طيار ضد داعش في ننجرهار شرق البلاد. بعد أن دعمهم سابقا بنفس الطائرات، وبأعوانه في الجيش الباكستاني الذى قدموا دعما مدفعياً ولوجستيا واستخباريا للدواعش. الضربة الجوية قتلت والي خراسان الداعشي.

تتغير التحالفات الأمريكية طبقا لتغير المصالح، بدون اعتبار لأى عوامل أخلاقية، فالعملاء ليس لهم أي قيمة في حساب الاحتلال. فقد تقصف عملاءها في شرق البلاد وتقدم لهم الدعم في غربها. وهذا ما يحدث في العراق وسوريا واليمن كنماذج في علاقة الأمريكيين بداعش والقاعدة وباقي أفرعهما وتشققاتهما، وهو ما يجرى تطبيقه الآن في أفغانستان. وفى المستقبل القريب سوف تهرب القوات الامريكية من كابول تاركين عملائهم من ليبراليين وإخوان ودواعش وماركسيين، فوق سطح السفارة الأمريكية هناك .. فهل تتسع لهم ؟؟